منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية
والثقافة القبطية والبحث العلمي

الأقباط والتعليم
في
مصر الحديثة

تأليف
دكتور سليمان نسيم
أستاذ أصول التربية
قسم الدراسات الاجتماعية
معهد الدراسات القبطية
وأستاذ التربية بجامعتي حلوان والقاهرة (سابقا)

تقديم ومراجعة

الأنبا غريغوريوس دكتور عزيز سوريال عطية

منشورات أكاديمية الدراسات العليا اللاهوتية
والثقافة القبطية والبحث العلمي

الأقباط والتعليم
في
مصر الحديثة

تأليف
دكتور سليمان نسيم
أستاذ أصول التربية
قسم الدراسات الاجتماعية
معهد الدراسات القبطية
وأستاذ التربية بجامعتي حلوان والقاهرة (سابقا)

تقديم ومراجعة
الأنبا غريغوريوس — دكتور عزيز سوريال عطية

الفهـــرس

الصفحة

الإهـــداء ٥

شكر واجب ٧

تقديم الكتاب لنيافة الأنبا غريغوريوس ٩

تصدير للدكتور عزيز سوريال عطية ١٥

هذا البحث – لماذا ؟ بقلم المؤلف ١٧

مدخل الدراسة ١٩

تقديم الدراسة ٢١

منهج البحث ٢٢

أقسام الدراسة ٢٣

القسم الأول – أصول التربية القبطية ٢٥

القسم الثانى – الكتاتيب القبطية فى العصور الوسطى ٤٣

القسم الثالث – التربية القبطية فى مصر الحديثة ٥١

الفـــترة الأولى : ١٨٠١ – ١٨٦٢ ... ... ٥٥

الفـــترة الثانية : ١٨٦٣ – ١٩٢٤ ... ... ٧١

خاتمـــة ١٠١

المراجـــع ١٠٣

الإهـــداء

إلى كل من أسهم فى تكوينى فكريا وروحيا :

أسرةً ووطناً وكنيسةً

تعبيرا متواضعا

عن عرفانى بالجميل

سليمان نسيم

شكر واجب

لنيافة الأنبا غريغوريوس الذى تفضل مشكورا بالموافقة على أن تقوم أسقفية البحث العلمى بطبع هذا الكتاب فى وقت أصبح فيه طبع الكتب ونشرها أمراً بالغ الصعوبة . لكن هذا ليس بمستغرب منه فهو أحد رواد العلم الكنسى فى جيلنا المعاصر وإضافاته المتواصلة للدراسات المسيحية ، فى مصر وخارج مصر ، ثروة تعتز بها المحافل العلمية واللاهوتية . على السواء ، وبركة تسهم بغير منازع فى نمو الإنسان ، أى إنسان ، وتدفع بحركة التنمية الروحية ككل إلى الأمام . وإنه لمما يملأ نى فخراً تلك المقدمة الرائعة التى تفضل نيافته بكتابتها لهذا الكتاب .

أما أستاذنا الجليل ، المؤرخ الكبير ، دكتور عزيز سوريال عطية ، أستاذ المسيحية العالمية فى جامعة يوتا ، وأحد المدارس الشامخة فى تاريخ العصور الوسطى فى العالم أجمع ، فإن كلماتى عنه أقل من أن تفى بجميله الكبير فى تشجيعى على تلخيص هذا الكتاب ليكون صالحاً للنشر بدائرة المعارف القبطية ، وبالرغم من مشاغله الكثيرة لكنه فى أبوة حانية ، وأستاذية أصيلة تفضل بقراءة الأصل كاملا ووافق عليه ثم كتب له التصدير المسجل فى فاتحة الكتاب . . .

للعالمين الكبيرَين خالص تقديرى ، وموفور شكرى وإجلالى ، راجياً أن يكون هذا الكتاب ، بدعائهما ، بركة لكل من يقرأه .

سليمان نسيم

تقديم لكتاب

الأقباط والتعليم
في مصر الحديثة

للأستاذ الدكتور سليمان نسيم

بقلم

الأنبا غريغوريوس

أستاذ عام

الدراسات اللاهوتية العليا

والثقافة القبطية والبحث العلمي

هذا الكتاب على بساطة أسلوبه يسد فراغاً فى المكتبة المصرية والعربية بعامة ، والمكتبة القبطية بخاصة . إنه يعالج موضوعاً تربوياً اجتماعياً حضارياً ؛ لكنه أيضاً دراسة تاريخية منهجية ، تغطى قطاعاً مهماً فى تاريخ مصر الحضارى والثقافى والعلمى والتربوى ، مع إبراز دور الأقباط الواضح فى حركة التعليم والتربية وخدمة الأجيال الصاعدة والناشئة ، روحياً ، ووطنياً ، وعلمياً ، وأخلاقياً ، واجتماعياً .. وهى أعظم تسلح عقلانى وسلوكى لمحاربة الأمية ، وأسمى علاج وقائى ضد ثالوث الدمار الاجتماعى : الجهل والفقر والمرض .

والمعروف عن القبط أنه ساد بينهم على مر عصور التاريخ ، هذا الشعار الجميل فى شعورهم بواجبهم نحو أبنائهم « علموهم ولاتورثوهم » .. إنه شعار رائع كان دائماً وأبدا يلمع أمام عيونهم فى سماء علاقاتهم بأولادهم . فلا يعنيهم كثيراً أن يرث أبناؤهم من بعدهم عقاراً أو مالا بقدر مايعنيهم أن يعلموهم فناً أو مهنة أو حرفة تحميهم وتحصنهم ضد العوز والحاجة والفقر . وهو شعار حكيم ، وبناء ، وأساس سليم جداً للتنمية الذهنية ، والانعاش الاقتصادى ، والازدهار الاجتماعى ، والاستقرار النفسى .

وطبقاً لهذا الشعار ، عاش على أرض هذا الوطن رجال فقراء ولكنهم أغنوا وأثروا بلدهم بأبناء تهذبوا وتعلموا ونبغوا فى مناحى الحياة العامة نظرياً وعملياً ، حضارياً وفنياً ومادياً ..

إنها صحيفة فخار ومجد لآباء مكافحين ، اضطروا تحت ظروف صعبة أن يصارعوا العقبات والتحديات فى سبيل تعليم أولادهم حتى بلغوا بهم أرقى أنواع التعليم مما لم يكن متاحاً لآبائهم .. فكم من طبيب أو مهندس أو محاسب أو معلم أو تاجر أو فنان نبغ بين مواطنيه على الرغم من فقره وبؤسه فى طفولته .. كان أبوه يقنع بقميص بال تحت ثوب قديم أو حلة كالحة لكى يوفر لولده نفقات التعليم فى مدرسة عالية .. ولو كان قد ترك ولده

بغير تعليم عال لما لامه أحد نظراً لقلة إمكاناته وإمكانياته .. لكنه الإيمان بقيمة التعليم والتربية هو السر وراء ذلك الكفاح المرير الذى عاناه آباء عظماء وأمهات فضليات ..

أليس حقاً أمراً مثيراً جداً أن نرى أباً فقيراً يشغل عمل خادم أو حارس أو بواب فى مدرسة أو ماأشبه ينفق من دخله المحدود على تعليم ولد له فى كلية الطب وآخر فى كلية التجارة أو الهندسة أو العلوم ؟؟ ويمكننا أن نتصور كم يعانى الأب وكم تعانى الأم فى معركة هذا الكفاح المر خصوصاً إذا كان لهما أكثر من ولد ولاسيما إذا كانوا فى مرحلة تعليمية واحدة أو متقاربة .

إن بعض الآباء والأمهات قد مرضوا أو ماتوا قبل أن يروا ثمرة كفاحهم فى تعليم أولادهم ، وبعضهم امتد به العمر ولكنه عاش ببدن مريض نتيجة لمعاناته مع أولاده فى هم العوز والفاقة ونقص التغذية .

ولقد أبرز كتاب الدكتور سليمان نسيم دور الأقباط فى تعليم البنت ، وإبان كيف سبق رجال الكنيسة زمانهم فى التنبيه إلى أهمية دور الفتاة فى البيت كزوجة وأم ودورها فى بناء المجتمع الكبير .

والحق إن تعليم الصغار ، أبناء وبنات ، درس ألقاه المسيح له المجد على تلاميذه ورسله وعلى سائر المؤمنين عندما « احتضن الأطفال ووضع يديه عليهم وباركهم » (مرقس ١٠ : ١٦) ، (متى ١٩ : ١٤) وقال « احذروا أن تحتقروا أحد هؤلاء الصغار » (متى ١٨ : ١٠) وقال « دعوا الأطفال يأتون إلى ولاتمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله » (مرقس ١٠ : ١٤) ، (لوقا ١٨ : ١٦) ، (متى ١٩ : ١٤) بل إنه له المجد جعل الطفل مثلا يتعلم منه الكبار إذ « دعا إليه طفلا وأقامه فى وسط تلاميذه وقال « الحق أقول لكم مالم ترجعوا فتصيروا مثل الأطفال ، فلن تدخلوا ملكوت السماوات » (متى ١٨ : ٢ ، ٣) وقال « الحق أقول لكم إن من لايقبل ملكوت الله مثل طفل فلن يدخله » (مرقس ١٠ : ١٥) ، (لوقا ١٨ : ١٧)

من هذا المنطلق عنيت الكنيسة بالأطفال فأنشأت لهم الكتاتيب ، وكان

الكتاب إلى جانب الكنيسة يديره مرتل الكنيسة الذى يسمى بالمعلم والعريف ، وكان يشغل وقت التلاميذ كل أيام الأسبوع فيما عدا الأحد والسبت أى يبدأ من صباح يوم الاثنين إلى نهاية يوم الجمعة من كل أسبوع — وكان التلميذ يدرس فيه الإنجيل واللغة القبطية واللغة العربية والحساب ثم بعض الحرف اليدوية .

وبعد الكتاب أنشأوا المدارس الابتدائية والثانوية والفنية ..

إن كتاب « الأقباط والتعليم فى مصر الحديثة » يسجل رحلة ممتعة مع الأقباط فى تاريخهم الحديث ، لكنه يؤكد أن هذه الرحلة هى فى حقيقتها إستمرار لرحلة أقدم عهداً تمتد جذورها إلى تاريخ مصر القديم ، وهى أقدم حضارة عرفها الإنسان .

إننا نبارك هذا العمل العلمى ، ونرجو أن تشهد المكتبة المصرية والقبطية أبحاثاً أخرى على هذا الطريق وعلى هذا النهج ، فى مجالات التعليم المدنى والفنى والدينى والرياضى .

وليكن هذا الجهد وأمثاله مباركاً .

الأنبا غريغـــوريوس
أسقف عـام
للدراسات العليـا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

دير الأنبارويس
الاثنين ٢١ من مارس — أذار لسنة ١٩٨٣
١٢ من برمهـــات لسنة ١٦٩٩

تصـــدير

بقلم

الدكتور عزيز سوريال عطيه
أستاذ المسيحية العالمية بجامعات مصر وأوربا وأمريكا
والرئيس الموجه لمشروع دائرة المعارف القبطية

هذا الكتاب ، الذى يسعدنا اليوم تقديمه للقراء والمواطنين والمؤرخين من أبناء الوطن ، ثمرة دراسة طويلة فى موضوع طريف وحيوى يمثل فصلا من فصول تاريخ مصر الحضارى ، ويلقى فيضاً من الضوء على الدور الذى لعبه الأقباط فى وضع الأسس الراسخة للتربية والتعليم فى إطار الدولة عامة والأقباط خاصة . والمعروف عن القبط منذ قديم الأزل فى كل العصور اهتمامهم الزائد بالتعليم والتصنيع لاسيما فى القرون المظلمة التى قاسوا الكثير أثناءها . حيث كان السلاطين والخلفاء فى بعض الحقبات السوداء، من تاريخنا الطويل ، يصادرون كل مابيدهم من مال وعقار . فكان القبطى يقول لولده « إن الشئ الوحيد الذى لايستطيع الحاكم اغتياله والاستيلاء عليه هو عقله وصنعته » . من ذلك نشأ اهتمام القبط بهاتين الناحيتين إهتماماً بليغاً أصبح نقطة ارتكاز فريدة فى سياسة الأسرة القبطية هو بمثابة التأمين الاجتماعى ، الضمين على مثابرة العمل المجدى ، رغم كل ما ينزل بأمتهم من محن وكوارث واغتصاب على وجه أخص فى تلك العصور المظلمة التى حكمت مصر فيها دول أجنبية فى طابعها ، ولم يكن للحاكمين بها هم سوى استغلال الشعب لمصلحتهم الذاتية . فلما استقلت البلاد من ذلك النير وبدأت شمس الديمقراطية تشرق على هذه الأرض الطيبة فى العصر الحديث ، وجدنا زعماء القبط فى طليعة المواطنين المصلحين الذين أدركوا أن تقدم الأمم لايتحقق إلا برعاية التعليم . ومن يقلب صفحات هذا الكتاب يجد فى الرعيل الأول بين مصلحى القرن التاسع عشر ، رجلا ، أجمع الناس على وصفه بلقب « أبى الاصلاح » ، هوكيرلس الرابع بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ، الذى أسس المدارس على اختلاف أنواعها للتعليم الابتدائى والثانوى والصناعى إلى جانب ماقد

يعتبر أقدم مدرسة أهلية للبنات وكان السابقون يعتبرون ذلك بدعة . ثم إنه توفر على إنشاء المطبعة القبطية التى عاصرت وزاملت وتوازت مع مطبعة بولاق ، وكان هذا الخبر الجليل يقول إنه لو كان حاضراً وقت وصولها من الخارج لرقص أمامها كما رقص داود أمام تابوت العهد . ولكى يشجع الشباب على الدراسة كان يحضر فصول مدارسه بنفسه فى وداعة طلباً من المزيد فى العلم وحتى يجعل من ذاته المثل الطيب للآخرين .

ظلت هذه السياسة التعليمية نبراساً لمدارس القبط التى تعددت ، ليس فقط بمصر والاسكندرية ، بل تكاثرت فى الأقاليم وتخرج منها جمهرة من الزعماء والرؤساء والوزراء ، وسائر الفنيين من جهابذة المهندسين والأطباء والمربين ، حقبة بعد حقبة ، حتى وصلنا إلى حافة التاريخ المعاصر . وكل هذه الجهود رسمها الكاتب للقارئ فى بطون هذا السفر القيم من الوثائق والأصول التاريخية التى جمع أطرافها فأوعى ، ثم أخذ فى سردها بأسلوب واضح وجذاب يستهوى القارئ بحلاوة عباراته وحرارة منطقه .

ثم إن هنالك نقطة هامة نستنبطها من هذا العرض ، ألا وهى انفتاح المدارس القبطية للمسلمين والأقباط على حد السواء دون أى تمييز بين شتى الأمة من المواطنين . وعلينا فى هذه المناسبة أن نشكر المؤلف على الجهد الذى بذله فى إنتاج هذه الرسالة التى أزالت الغموض عن ذلك الفصل من تاريخنا حتى يفخر أبناء هذا الجيل بما صنعه آباؤهم فى بناء هذا الوطن الكريم الذى نعتز بفضله ووحدته .

عزيز سوريال عطيه

هـذا البحث ... لمـاذا ؟

مؤرخ التعليم ليس فى حاجة إلى أن يبين أهمية التعليم فى تحقيق آمال الفرد والمجتمع ، بل وفى تشكيلهما فكرياً وروحياً ونفسياً . لذلك كان عليه أن يكون مدققاً فى التسجيل حتى تأتى دراسته على المستوى العلمى المطلوب . من هنا تظهر أهمية الغاية التى نسعى إلى تحقيقها ، من ناحية ، ونوعية المصادر والمراجع التى يعتمد عليها ، من ناحية أخرى . ولقد جاء هذا الكتاب الذى أقدمه اليوم للقارئ ثمرة جهد بذل فى خطين متوازيين :

الأول : رسالتى فى الدكتوراه عن موقف أجهزة التشريع والرأى من قضايا التعليم فى مصر فى الفترة من ١٩٢٤ — أى منذ قيام الدولة المصرية فى صورتها الدستورية الحديثة — حتى ثورة ١٩٥٢ . وقد تعرضت فى بعض فصولها لجهود مؤسساتنا القبطية فى خدمة التعليم القومى ، والدور الكبير الذى أسهمت به فى بناء الإنسان المصرى منذ عهد الكتاتيب حتى عهد المدرسة فى صورتها الحديثة المتطورة .

أما الخط الثانى : فهو إسهامى فى كتابة فصل متواضع عن التربية القبطية فى دائرة المعارف القبطية التى تتولى خدمتها الآن جمهرة من علماء القبطولوجيا فى مصر والعالم بقيادة وتوجيه أستاذنا العالم المؤرخ دكتور عزيز سوريال عطية .

وكان أن وجدتنى ملتزماً باستكمال ما كنت قد بدأته فى الستينيات حين تقدمت برسالة فى « تاريخ التربية المصرية فى العصر القبطى » إلى كلية التربية بجامعة عين شمس فأجازتها لدرجة الماجستراه سنة ١٩٦٣ وقد حددت الرسالة « العصر القبطى » بالفترة بين وضع الأبجدية القبطية فى نهاية القرن الثانى الميلادى حتى تقرير استخدام اللغة العربية كلغة رسمية فى القرن الثامن عقب الفتح العربى بقرن ونصف تقريباً . وكان طبيعياً أن تبدأ الرسالة بفصلين تمهيديين عن التربية فى مصر القديمة ، ثم فى مصر تحت حكم اليونان فالرومان ،

كمدخل لدراسة العصر القبطى ، والأصول التى استمدت منها التربية القبطية اتجاهاتها وخططها سواء كانت أصول إنجيلية أو آبائية . ومن هنا كان طبيعياً ، بل والتزاماً ، أن أستكمل هذا الجهد بدراسة جهود الأقباط فى خدمة التعليم ، خلال العصور الوسطى ممتدة إلى الأزمنة الحديثة فالمعاصرة . فكانت هذه المحاولة ، التى أقدمها اليوم ، والتى أستكمل بها تاريخ التربية القبطية على امتداد عصور التاريخ المصرى جميعاً ، ومنها العصر القبطى ، الذى يعتبر فصلا هاماً من فصول تاريخنا القومى العام ، وقطعة أصيلة وخالصة من صميم تطوره . ومن هنا فإن ثماره فى مجال التعليم إن هى إلا جزء لايتجزأ من نسيج الثقافة المصرية لايزال حياً فينا كمصريين ، وفى مجتمعنا المصرى ككيان تصب فيه قنوات التراث المصرى ، على اختلاف منابعها ومصادرها . ولئن بدا للبعض أن التاريخ يتعرض للماضى ، لكنه يكتب للمستقبل فالزمان وحدة تتوالى عناصرها دون انقطاع : الماضى تمهيد للحاضر ، وكلاهما انطلاق للمستقبل الذى نرجو دائماً أن يأتى أعظم وأفضل . لذلك آثرت أن أستهل هذه الدراسة بفصل تمهيدى عن التراث التربوى فى العصر القبطى ، ومعطيات المسيحية للتربية ، حتى تكتمل حلقات البحث ، ويتصل خطها الفكرى فى وحدة واتساق متكاملين .

المؤلف

المدخل للدراسة

— تقديم الدراسة .

— منهج البحث .

— أقسام الدراسة .

تقـــديم الدراســـة

إن دراسة أحوال التربية عند القبط فى مصر الحديثة ، منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى وقتنا الحاضر ، تستلزم الرجوع إلى الأصول التاريخية لمسار التربية المصرية عامة ، والتربية القبطية بوجه خاص ؛ خلال العصور السابقة على القرن التاسع عشر . للتعرف إلى مختلف المؤثرات التى أثرت فيها فأصلت غاياتها واتجاهاتها . ورسمت إطار خططها وأساليبها ، وحددت نوعية مناهجها وطرائق إعداد القائمين عليها . من هنا فإن بحثنا يجب أن يشتمل على موضوعات ثلاث :

الموضوع الأول : الأصول التاريخية للتراث التربوى فى عصور مصر القديمة ، والعصر القبطى .

الموضوع الثانى : التربية عند القبط خلال العصور الوسطى .

الموضوع الثالث : التربية عند القبط فى الفترة من سنة ١٨٠١ حتى وقتنا الحاضر .

وتعتبر دراسة التربية عند المصريين فى العصور القديمة ، وعند المصريين المسيحيين فى العصور الوسطى ، المدخل الطبيعى لدراستها فى العصور الحديثة منذ سنة ١٨٠١ حتى وقتنا الحاضر .

منهج البحث

سنتبع فى الدراسة منهج البحث التاريخى ، وتحليل الشخصيات ، لنتعرف من خلالها إلى القوى والمؤثرات التى وجهت التربية القبطية على امتداد التاريخ المصرى . وسنهتم بالربط بين أصول التربية المصرية ، بوجه عام ، والتربية عند القبط ، بوجه خاص ، لنرى أوجه التشابه والتباين ، ومظاهر التأثر والتأثير . فالقبط جزء من نسيج مصر . وتاريخهم قطعة من صميم تاريخها القومى العام وتطورها ، كما أن للكنيسة القبطية ، وهى الكنيسة الوطنية المصرية ، بحفاظها على الإيمان المسيحى والقيم المسيحية ، دورها التربوى الفعال فى حماية القومية المصرية ، وإبراز الشخصية المعنوية لمصر . ولاشك أن منهجها فى التعليم كانت له فاعليته الكبيرة فى الإبقاء على صور الحضارة المصرية ، وصون التراث المصرى من العبث بل وحمايته من الضياع .

أقســـام الدراســـة

يمكن أن نقسم الدراسة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

أصول التربية القبطية وتنقسم إلى عناصر ثلاث :

١ ــ التراث التربوى لمصر القديمة .

٢ ــ الإضافات المسيحية لهذا التراث فى الفترة من دخول المسيحية حتى الفتح العربى .

٣ ــ التربية الديرية وأثر قانون الشركة الباخومية فى توجيه التربية .

القسم الثانى :

معالم التربية عند القبط فى العصور الوسطى ممتدة إلى العصور الحديثة وأهمها الكتاتيب .

القسم الثالث :

التربية عند القبط فى أزمنتنا الحديثة والمعاصرة وبالتحديد فيما بين سنة ١٨٠١ حتى وقتنا الحاضر . ونظراً لأن هذا القسم تبلغ مدته نحو ١٨٠ سنة تنتظم الكثير من العهود ذات السمات المتباينة ، حكماً وثقافة ، فقد رأيت تسهيلا لدراستها أن أقسمها إلى الفترات التاريخية الآتية :

الفـــترة الأولى ـ من سنة ١٨٠١ إلى سنة ١٨٦٢ :

وتشمل تاريخ مصر منذ خروج الحملة الفرنسية إلى نهاية عهد الوالى سعيد ، وتعاصر ــ فى تاريخ الكنيسة المصرية ــ نهاية عهد البـــابا كيرلس الرابع : البابا العاشر بعد المائة ، والذى يقترن اسمه بالنهضة التعليمية المتميزة فى أواسط القرن التاسع عشر .

الفترة الثانيـة ـ من بداية عصر إسماعيل سنة ١٨٦٣ حتى قيام الجامعة المصرية الأمـيرية سنة ١٩٢٥ :

باعتباره حدثاً تربوياً اجتماعياً كبيراً .

ومن الآباء بطاركة الكنيسة الذين عاصروا هذه الفترة : البابا ديمتريوس (١١١) ، والبابا كيرلس الخامس(١١٢) .

الفـــترة الثالثة ـــ من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٥٦ :

وقد تخللها صدور القانون ٢١٠ لتعميم التعليم الابتدائى وتنظيم مراحله سنة ١٩٥٣ ثم القانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٦ بتحديد مدته بست سنوات . وتعاصر هذه الفترة عهود البابوات يؤنس التاسع عشر (١١٣) ، ومكاريوس الثالث (١١٤) . ويوساب الثانى (١١٥) . وقد شهدت نهضة الإكليريكية ، وانتشار التعليم الدينى بفروع مدارس الأحد ، وتقدم عدد من المكرسين الجامعيين للرهبنة مما شهدت معه الأديرة حركة نهضة جديدة .

الفـــترة الرابعة ـ من سنة ١٩٥٧ حتى سنة ١٩٨١ :

وتشمل عهد كل من البابا كيرلس السادس (١١٦) والبابا شنودة الثالث (١١٧) وقد شهدت تطور الدراسات اللاهوتية العليا بإنشاء المعاهد المتخصصة وتطور خدمة التربية الدينية والاجتماعية فى مختلف مظاهرها وأوساطها وخاصة بين الشباب والعائلات .

* * *

بذلك نكون قد وضعنا إطار دراسة التربية القبطية ، بتتبع أصولها منذ عهد مصر القديمة حتى وقتنا الحاضر ، مروراً بالعصر القبطى ، فالعصور الوسطى بدءاً من الفتح العربى ، فالعصر الحديث ، وبالتحديد عقب خروج الحملة الفرنسية سنة ١٨٠١ ، حتى أزمنتنا الحاضرة والمعاصرة فى ضوء التقسيم التاريخى الذى ذكرناه .

القسم الأول
أصول التربية القبطية

أولا : التراث التربوى لمصر القديمة :

ثانياً : التراث التربوى فى العصر القبطى :

أولا : التراث التربوى لمصر القـديمة :

كان للارتباط المتين بين المصرى وأرضه ، منذ أقدم الأزمنة ، أثره الواضح فى إلتزامه بمجموعة من القيم والخلقيات ، انعكست على سلوكه وعلاقاته الاجتماعية ، من ناحية ، وتأثرت بمعتقداته الدينية من ناحية أخرى . وكان من نتائج ذلك أن المجتمع المصرى قام على أسس دينية وخلقية لم تلبث أن انعكست بدورها على خطة التربية وكانت وراء كل ماحققه المصريون من حضارة . ومن أهم الاتجاهات التى أثرت فى مسار التربية المصرية فى الأزمنة القديمة :

— إيمان المصريين بالحياة والحساب بعد الموت واهتمامهم الدائب بالاستعداد للوقوف أمام إله القضاء ، مما كان له أكبر التأثير فى توجيه سلوكهم الفردى والاجتماعى .

— الاعتقاد بضرورة احترام إنسانية الفرد وحقه فى الحياة والكرامة ، واحترام المرأة ، وحب الزوجة ، وتقديس العلاقات الأسرية ، والاهتمام بالأطفال والعناية بتربيتهم عناية كبيرة .

— ترك لنا المصريون تراثاً حكمياً تربوياً جاء مضمونه على ألسنة حكمائهم مثل بتاح حتب . ولعل من أصدق ماجاء فى هذا التراث « اجعل نفسك موزوناً على منهاج معلمك » مشيراً إلى أهمية الاقتداء بالمعلم . أما فيما يتصل باحترام الأم فقد جاء فى هذا التراث « أوصيك بأمك التى حملتك ، فهى التى أرسلتك إلى المدرسة حتى تتعلم الكتب وهى التى تشغل نفسها بك طول النهار » . وفى وثيقة لأحد النبلاء ، يرجع تاريخها إلى القرن ٢٧ ق.م. يقول « إننى لم أكذب ، وقد كنت محبوباً من أبى ، ممتدحاً من أمى ، وصاحب سلوك ممتاز مع أخى ، شفوقاً على أختى » .

— لم يكن ثمة مانع من أن يصل أى شاب ، إلى أى مركز أدبى أو اجتماعى ، دون اعتبار للطبقة التى ينتمى إليها ومؤدى ذلك أن التعليم إذا تيسر لأى فرد مكنه من الوصول إلى المكانة الاجتماعية .

— كان من أهم مناهج التعليم منهج التاريخ الذى يسمع النشء من خلاله عن بطولة أسلافه وجهادهم ، فضلا عن القصص التعليمى الذى يستهدف تقويم الخلق واستلهام العبرة .

— كانت المدرسة تلحق عادة بالمعبد ، أو حيث وجد المعلم القادر على التدريس ، وهو غالباً من طبقة الكهنة ، وكانت المدرسة تضم البنين والبنات دون تفرقة . وفيها كان التلميذ يدرس أساسيات المعرفة ، والمعلومات العامة ، وبعض المختارات الأدبية والدينية ، فى شكل محفوظات ، بالإضافة إلى الأناشيد والرياضة البدنية .

— الأطفال الذين لايتمكنون من التعلم كانوا يشاركون آباءهم حرفة الزراعة لأنها المهنة الغالبة يتعلمونها عنهم بالممارسة والتدريب . كما أن المدرسة لم يقتصر التعليم بها على القراءة والكتابة بل وجدت بها أقسام لتعليم الحرف المختلفة لإعداد الحرفيين الذين تحتاجهم العمالة فى الفنون الصناعية المتعددة كالرخامين والمثالين والنحاتين والبنائين والنقائين والنجارين وغيرهم .

— بعد مرحلة الدراسة الأولية كانت تأتى مرحلة التعليم بمدارس الإدارات الحكومية لإعداد الطالب لوظائف الدولة المختلفة وهذه تعقبها الدراسة العليا أو المتخصصة والتى كانت الغاية منها عادة الوصول إلى منصب الكهنوت .

— هذه الخطة التعليمية فى عمومها ، بما تضم من تراث خلقى وروحى ، وماتنتظمه من مناهج ، على المستويين العام والتخصصى ، أخذت تنتقل من جيل إلى جيل حتى وصلت إلى مصر القبطية .

— كذلك كان المعبد يشتمل على مكتبة تضم الوثائق والمخطوطات فى شتى الموضوعات الدينية والسياسية والعلمية والأدبية . وكان يطلق على قاعة المكتبة اسم « دار الحياة » وكثيراً ماكان يقصدها الملوك للاطلاع على محتوياتها أو لاستشارة أهل الرأى بها من رجال الدين والعلماء الذين

كانت « دار الحياة » لهم بمثابة مجمع علمى . وكان لتوافر ورق البردى أثر كبير فى تسجيل المخطوطات ونشأة المكتبات بمعابد مصر : كمكتبة الرمسيوم بطيبة ، والإله تحوت بادفو . ولقد أصبحت هذه المكتبات مع الوقت مراكز إشعاع حضارى خاصة بعد مجئ اليونان وتشييدهم لمدينة الاسكندرية وتأسيسهم للموزيون (*)، أوالمجمع العلمى بها والمكتبتين الكبرى والصغرى الملحقتين به . وعن هذه المكتبات صدرت أثمن المؤلفات فى العلوم الرياضية والفلكية والطبية وغيرها . وكان من الطبيعى أن يتواصل الإبقاء على هذا التراث خلال العصر القبطى ثم العصور الوسطى مما جعل للمكتبة ، سواء الملحقة بالمعبد ، أو بالكنيسة أو المسجد ، فيما بعد ؛ دورها التثقيفى العام ، وأثرها فى التأليف وإعداد المعلمين ، كما انتقل تأثيرها لتهتم بها بعض العائلات فتقيم بمنازلها خزائن للكتب تصبح عنصراً من عناصر حياتها وثقافتها .

(*) Museun

ثانيـاً : التراث التربوى فى العصر القبطى :

إضافات المسيحية إلى التراث التربوى المصرى :

بدخول المسيحية مصر سنة ٦٠ م واصل المصريون خطتهم التربوية فى إعداد أولادهم للحياة الناجحة وإن تغير الهدف الذى تحول إلى إعدادهم للاستشهاد فى سبيل الإيمان الجديد . لقد كان التعليم والتعلم سمة من السمات التى ميزت التراث المصرى القديم فلما جاءت المسيحية ، وهى تقوم فى انتشارها على التلمذة ، تأكدت هذه السمة فى حياة المصريين مع الاختلاف فى المحتوى من الفكر الدينى المصرى القديم إلى الفكر المسيحى . أما من حيث الشكل فقد بقى التعليم على ما كان عليه فى العصرين المصرى القديم والإغريقى :

١ — فالمدرسة ملحقة بالكنيسة كما كانت ملحقة بالمعبد وقد أكدت شهادة المؤرخ يوسابيوس — فى القرن الرابع — هذه الحقيقة بقوله « إنها كانت عادة المسيحيين أن ينشئوا المدرسة فى كل مكان ينزلون فيه » .

٢ — أما اللغة المستخدمة فى التعليم فقد بسطت لتصبح أبجديتها مكونة من ٢٥ حرفاً يونانياً مضافاً إليها سبعة أحرف مصرية وكان ذلك إيذاناً بظهور الأبجدية القبطية فى أواخر القرن الثانى الميلادى (*) .

٣ — غلب على التعليم طابع السؤال والجواب .

٤ — بقى للمكتبة دورها الكبير فى عمليتى التعلم والتعليم خاصة وأن الاسكندرية درجت على أن تكون سوقاً رائجة لتجارة الكتب .

٥ — بإنشاء المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية ، وهى التى عاصرت المدرسة البطلمية الوثنية ، برزت سمة التلمذة وخاصة للمرشحين لتولى مناصب كهنوتية وكان لتوافر هذه السمة دلالتها فى أن الكنيسة اتبعت خطوات السيد المسيح فى منهج التعليم وإعداد المعلمين .

(*) نشر بعض علماء القبطيات وثيقة قبطية محررة بالحروف القبطية اليونانية ترجع إلى عام ١٥٠ ق. م. وإذن استخدمت الحروف اليونانية فى الكتابة قبل المسيحية . كل ما هنالك أن بنتينوس وأكليمنصن من علماء مدرسة الإسكندرية استخدموا الحروف القبطية اليونانية فى ترجمة الكتاب المقدس إلى القبطية .

٦ — كان من الطبيعى أن تتطور خطة التربية بتغير الظروف السياسية والاجتماعية : فنى العصر الرومانى الوثنى ، وحتى الاعتراف بالمسيحية ديناً رسمياً للدولة سنة ٣٧٩ م ، كانت التربية تستهدف إعداد النشء للاستشهاد فى سبيل الإيمان . فلما جاء الاضطهاد المذهبى للمصريين ، والذى استمر حتى الفتح العربى سنة ٦٤١ . بسبب تمسكهم بعقيدة الطبيعة الواحدة للسيد المسيح . تغير مضمون التربية ليصبح مزيداً من الثبات فى الإيمان الأرثوذكسى فى مواجهة عقيدة الملكانيين .

٧ — فى سبيل تأكيد هذا الإيمان ترك بعض الآباء تعاليم فى أفضل الأساليب لتعليم النشء أصبحت مع الوقت تراثاً تربوياً . ومن هؤلاء الآباء العلامة إكليمنضس ، الذى ترك كتاب « المربى » ، والقديسون يوحنا ذهبى الفم ، وباسيليوس الكبير ، وغريغوريوس النيصى . وهؤلاء لم يدعموا الكنيسة والإنسانية بتراث زاخر من التوجيهات التربوية فقط . وإنما هم أنفسهم عاشوا حياة الإنجيل عملياً ، إذ تربوا وسط عائلات مسيحية حقة فكانت حياتهم هى فى ذاتها إضافة تربوية .

٨ — لم يكن جهاد الكنيسة منحصراً فقط فى الدفاع عن الإيمان ، وإنما امتد إلى الحفاظ على القومية المصرية . وظهر ذلك فى مجال الدفاع عن اللغة القبطية ، والعمل على التخلص من كل ماهو يونانى ، فى أدبياتها . ومجالات استخدامها المختلفة ، فضلا عن ترجمة الكتاب المقدس إليها ، لتتوحد ثقافة الشعب ، ويتجمع ، ككل ، حول شعار قومى واحد . وكان معنى هذا تربوياً : الاهتمام بتعليم اللغة القطية ، ودراسة قواعدها ، ووضع القواميس لها ؛ فتناقلت الأجيال التالية هذا الاهتمام جيلا بعد جيل .

هذا فيما يتصل بالشكل ، فإذا أتينا إلى المضمون ، وجدنا أنه بالرغم مما يشير إليه بعض علماء البرديات ، مثل إدريس بل الانجليزى ، وڤلكن* الألمانى ، وغيرهما ، إلى قلة البرديات ، التى عثر عليها والخاصة بالتعليم ، إلا أننا نستطيع أن نؤكد من تطور الأحوال ، أن ثمة إضافات قدمتها

---

* Wilcken.

المسيحية إلى مضمون التعليم ، وهى إضافات التقت مع الكثير من عناصر التراث التربوى المصرى القديم . وهذه الإضافات هى :

١ — إكرام المسيحية للطفولة دون تمييز بين الولد والبنت .

٢ — إكرام الوالدين .

٣ — إستقرار الأسرة القبطية على أسس روحية . والاهتمام بالعبادة العائلية مما جعل للأسرة الدور التربوى الأول فى إعداد الأجيال الناشئة إعداداً مسيحياً حقاً .

٤ — إتباع قانون المحبة وهو التجسيد الحى للفكر المسيحى والوصية المسيحية .

٥ — إهتمام الكنيسة بإقامة الطقوس التى اعتبرت مع الوقت وسائل تربوية متجددة .

ولقد أكدت أقوال المؤرخين المعاصرين لهذه الحقبة أنه « بتأسيس الكنيسة المسيحية بدأ حكم المحبة على الأرض » ، وأن « المسيحية نظام هادف له غرض محدد فى تغيير القلوب فالمسيحية لم تكن مجرد تعليم أو عقيدة ولكنها حياة وضعت مستويات جديدة لتنظيم السلوك » . وهى أقوال تؤكد أن المسيحية قدمت الكثير من القيم التربوية العملية المستمدة من وصايا السيد المسيح ومن النموذج الصالح الذى تركه ، وكذلك من سير وحياة القديسين والشهداء والنساك والمعلمين والفنانين . لكن لعل أهم ماتميزت به القيم المسيحية ارتباطها بقوة داخلية ، هى التى عرفها القديسون بأنها عمل النعمة فى باطن الإنسان المؤمن ، وهى التى تمكنه من تطبيق الوصية المسيحية وكل ماتقترن به من التزامات . وكان هذا أعظم عامل فى تنمية إرادة الفرد المسيحى وتمكينه من تجديد سلوكه وأسلوب حياته .

أوســـاط التربيـة فى العصر القبطـى

أولا — الأسرة : قامت الأسرة بدور بارز فى إعداد أبنائها وبناتها للحياة المسيحية عميقة الإيمان ، صادقة المحبة . وكان للرباط الإلهى الذى ترتبط به الأسرة القبطية ، وعدم قابليته للانحلال أو الانفصام ، فضلا عن موالاة الكنيسة لرعايتها ، وتخصيص حجرة للعبادة العائلية ، ومواصلة سرد سير القديسين من الآباء والشهداء والمعترفين ؛ أكبر الأثر فى إحاطة الأطفال ، خاصة فى مرحلة طفولتهم المبكرة ، وقبل ذهابهم للمدرسة ؛ بضمانات قوة الإيمان ، والأمان والاستقرار والحب والحنان ، مما كان يترك أعمق الأثر فى تكوين شخصياتهم ، فى مراحل حياتهم التالية ، لتمتلئ بروح اليقين والفضيلة المسيحية الحقة .

ثانيا — المدرسة : كانت أول مدرسة مسيحية هى التى أنشأها القديس مار مرقس بالاسكندرية . ومن دراسة سير الآباء البطاركة وعلماء الكنيسة ، مثل القديس بطرس خاتم الشهداء ، والقديس أثناسيوس ، وغيرهما ، أو سير بعض الأشخاص العاديين ممن نشأوا فى حضن الريف ، فى ظل الأسر المسيحية التقية ، ثم نموا فى النعمة حتى كرسوا حياتهم لخدمة الإيمان والكنيسة كالقديس أنطونيوس مثلا ، نقول إنه من دراسة هذه السير وتتبعها يتضح لنا أن التعليم فى العصر القبطى كانت تنتظمه مرحلتان أساسيتان :

المرحلة الأولى : مرحلة التعليم الأولى :

وميدانها المدرسة الأولية الملحقة بالكنيسة أو بالدير القريب بديلا عن المعبد فى العصور المصرية القديمة ؛ والتى كان الطفل يلتحق بها عادة فى الخامسة من عمره ليدرس اللغة ، وتعاليم الكتاب المقدس ، ويستظهر بعض المزامير والألحان الكنسية . أى أن تعليم أدوات المعرفة كان دائماً يأتى فى مقدمة مناهج التعليم . وهذا أمر طبيعى . لكن كانت تضاف إليها دراسة الرياضيات التقليدية والمعروفة لدى المصريين منذ الأزمنة القديمة : حساب المساحات والموازين والمكاييل ؛ وحتى منتصف القرن الثانى كانت اللغة الأساسية التى تعلم للأطفال هى اللغة اليونانية إلى أن وضع پنتينوس الأبجدية

القبطية ، فى أواخر القرن الثانى الميلادى ، فأصبحت اللغة القبطية تعلم بالمرحلة الأولى . وكان التعليم بهذه المرحلة مجانياً ، وإجبارياً ؛ وللجنسين دون تمييز ، ولأن المدرسة ملحقة بالكنيسة فاحتياجاتها تقوم بها الأسر المسيحية عن رغبة واختيار .

المرحلة الثانيـة : مرحلة التخصص :

وتقوم على أساس التلمذة لمعلم خاص إلى جانب الدراسة بالمدرسة اللاهوتية التى كانت تعد طلابها لوظائف الكهنوت والشموسية . على أن هذا التخصص — كما يذكر المؤرخ Butts — لم يمنع من وجود المدارس المدنية الحكومية التى تعد طلابها للخدمات المدنية المختلفة .

مدارس الموعوظين :

كانت الفترة التى يقضيها تلاميذ هذه المدارس لاتتجاوز فترة الصوم الكبير لكنها بمرور الوقت امتدت إلى عامين أو ثلاثة أعوام كان الطالب يتدرج خلالها فى مراحل ثلاث :

الأولى :

مرحلة الاستفسار وفيها يستمع الطالب إلى فكرة عامة عن المسيحية من خلال التعليم الفردى : أى التلمذة لأحد المعلمين ؛ وكانت هذه الطريقة تقوم على أساس السؤال والجواب .

الثانيـة :

مرحلة الاستماع : وفيها يسمح للطالب بدخول الكنيسة ليستمع إلى القراءات الكنسية وتفسيرها والبقاء حتى نهاية قداس الموعوظين .

الثالثـة :

مرحلة التأهيل لنوال سر العماد الذى يستطيع الطلاب بعده حضور القداس كاملا للتقدم فى نهايته للتناول من الأسرار المقدسة .

هذا النظام كان يتبع مع الكبار الراغبين فى الدخول إلى المسيحية ليصبحوا

أعضاء فى الكنيسة فقد كان تعريف الموعوظين بحقائق الإيمان المسيحى من أهم المهام التى تضعها الكنيسة فى اعتبارها الأول بين واجباتها . ولقد ظلت هذه المدارس تقوم بمهمتها فى التعليم الروحى حتى القرن الخامس حين ثبتت الديانة المسيحية ، ودالت دولة الوثنية ، وثبتت أيضاً عادة عماد الأطفال وأصبحت المبادئ المسيحية تسلم للصغار بطريقة طبيعية . فانتفت بذلك الحاجة إلى وجود مدارس الموعوظين الكبار .

تعليم البنت :

لم يكن ثمة مانع — منذ عهود مصر الفرعونية — من تعليم الفتاة ، وكثير من النصوص البردية تدل على ذلك . فلما جاءت المسيحية دعت إلى الاتجاه نفسه بل وإلى إشراكها فى الخدمة كشماسة تعاون الكاهن فى خدمة السيدات والكرازة بينهن بالمسيحية فى فترة الوثنية ، مما جعل من الضرورى منحها الحق فى التعليم منذ الطفولة .

ولما أنشئت الأديرة لم تتأخر الفتاة القبطية عن التقدم لنذر الرهبنة . وعرفت أديرة باخوميوس وشنودة — فى القرنين الرابع والخامس — الكثير من أديرة الراهبات وخضوعها لذات النظم التى اتبعتها أديرة الرهبان .

مرحلة التعليم العالى فى العصر القبطى :

نجح المفكرون والعلماء المسيحيون فى تطوير أساليب التعليم المسيحى ، والوصول ببحوثهم ودراساتهم إلى مستوى عال جداً ، يقف جنباً إلى جنب مع تعليم وآراء الفلاسفة الوثنيين . وبذلك لم تقل اسكندرية العصر المسيحى عن اسكندرية العصر الإغريقى . وكان أساتذة هذه المدرسة نموذجاً للحياة المسيحية المتكاملة التى تجمع بين العلم والدين واتجهوا إلى أسلوب التلمذة على النمط نفسه الذى اتبعه السيد المسيح والآباء الرسل من بعده . وتدريجياً أصبحت المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية ، بمن انضم إليها من أهل الفكر والفلسفة ، الذين كانوا أصلا وثنيين واعتنقوا المسيحية ، « عقل المسيحية المفكر » ، مما أتاح لبابواتها رئاسة المجامع المسكونية ، والتصدى بجدارة

لمقاومة البدع والهرطقات ، وكتابة الرسائل الفصحية — أى فى مناسبة عيد الفصح — للرد عليها .

أما عن مناهج هذه المدرسة فقد اشتملت على أصول العقيدة مع تفسيرها وشرحها ، كما وجه الاهتمام إلى تنمية قوى التفكير والملاحظة التى كانت وسيلتها الدراسات العلمية البحتة كالهندسة وعلم وظائف الأعضاء والفلك والفلسفة والشعر .

أدوات التعليم :

استخدم المتعلمون أوراق البردى ، وإن كان ذلك نادر ، بسبب ارتفاع ثمنها ، أما الأغلب وخاصة فى التعليم الأولى فكان استخدام قطع الشقافة ، والرقوق ، والألواح الشمعية والخشبية ، كما استخدموا الأسلاك الرفيعة بدلا من الأقلام . وقد عثر على الكثير من هذه الآثار وعليها نصوص من الإنجيل بالقبطية الصعيدية ، ومواعظ باللغة البحيرية ، وسير قديسين ، وصلوات ، ومزامير ، ومدائح . ولايزال الجانب الأكبر من هذه الآثار موجوداً بالمتاحف والمكتبات بأوربا والولايات المتحدة الأمريكية .

التعليم المهنى :

منذ فجر التاريخ عرفت مصر الكثير من الآلات والأدوات كان يتسلم صناعاتها الأبناء عن الآباء . وحقيقة لم توجد مدارس نظامية للتعليم الفنى ، كما هو معروف فى نظامنا التعليمى الحديث . إلا أن المصريين برعوا براعة فائقة فى الفنون الصناعية التى كانت تتطور من جيل إلى جيل ، وتصل تدريجياً إلى درجة فائقة من الصقل والجودة وهذه الفنون مثل : أعمال البناء ، والمعمار ، وصناعة المنسوجات بمختلف أنواعها التيلية والحريرية والصوفية ، وأعمال الزخرفة والتشكيل بمختلف الأشكال وعلى مختلف المواد والعناصر ، ثم صناعة الزجاج ، والأثاث ، والسفن ، والأدوات المعدنية ، والحربية ، والورق والحلى وأدوات الزينة ، والتطعيم بالعاج والأبنوس ، والحفر على الخشب . ومما ساعد على ارتقاء هذه الفنون اختلاط المصريين المتواصل بشعوب البحر المتوسط ؛ فكان ذلك من أهم العوامل فى تطوير صناعاتهم ،

وارتفاع مستوى إتقانها بل وإضافة الكثير من الصناعات الجديدة إليها كصناعة المرمر والحلى وصقل الأحجار الكريمة كاللؤلؤ والعاج والأصباغ وأنواع الأخشاب النادرة . ومن جيل إلى جيل كانت مهارة المصرى تنتقل إلى أولاده وأحفاده : يمارسونها بالمزيد من الدقة والمهارة فكان أن أصبحت فى مصر مراكز صناعية عرفت بالتخصص نذكر منها تنيس ودمياط وأخميم وأسيوط وغيرها وبها قام الكثير من المصانع الصغيرة التى كان المصريون يمارسون فيها مهنهم ويسلمونها لأولادهم ليواصلوها من بعدهم . فكان هذا نوعاً من التعليم استهدف حفظ التراث بطريقة التسليم .

أما المعابد المصرية ، ومن بعدها الكنائس فى العصر المسيحى ، فقد اشتهرت بصناعة الزيوت والمنسوجات الكتانية والصوفية ، وأوراق البردى ، والحبال والجلود . فلما أنشئت الأديرة واصل الراهب المصرى ، وهو القادم من صميم المجتمع المصرى والريف المصرى ، فنون أسلافه من الصناع والفنانين بل وزاد عليها ماتطلبته العبادة داخل الدير فنهض بصناعات النسيج لملابس الرهبان ، والخشب والخزف والمسارج والأوانى المعدنية والشمعدانات والمباخر والتحف والزجاج والتجليد . والمتأمل فى تحف وزخرفة عهد أخناتون على سبيل المثال ، سوف يرى التشابه كبيراً بينها وبين تحف وزخارف أديرة باخوميوس وأديرة وادى النطرون والبحر الأحمر . ومن هنا لانعجب إذا رأينا العرب ، بعد فتحهم لمصر ، يعتمدون اعتماداً تاماً على الصناع والفنيين القبط مما ساعد على تواصل وبقاء الفن الصناعى . والمهن والحرف المختلفة ، على امتداد العصور الوسطى ، وحتى وقتنا الحاضر ، ففى المراكز الصناعية المصرية استمرت الفنون قائمة بذات الخصائص التى تميزت بها قبل الفتح العربى . ونستطيع أن نرى فى هذه الأمثلة ، كلها ، دليلا على أنه كان هناك تعليم مهنى بشكل ما ، وأن هذا التعليم احتفظ للفن الصناعى بخصائص واضحة : فهو أولا فن مصرى ، كما أنه ليس دينياً كنسياً فقط ، لكنه فن يخدم أغراض الحياة العامة واليومية ، سواء فى المنزل أو فى المعبد ، فى القرية والمدينة ، على مستوى المجتمع العام ، وكذلك على مستوى الأسرة وهى المجتمع الخاص .

التعليم فى الأديرة

كان لكل دير نوعان من المدارس :

الأول :

المدارس التى يقيمها لتعليم رهبانه وتسليمهم التراث الرهبانى .

الثانى :

المدارس التى يقيمها خارجه لتعليم أبناء الشعب .

وندرس كل نوع من هذه المدارس بشئ من التفصيل .

أولا — المدارس داخل الدير :

فى عهد الرهبنة الأولى ، التى أسسها القديس الأنبا أنطونيوس ، على أواخر القرن الثالث ، أخذ التعليم شكل التلمذة الفردية الخاصة ، والتوجيه الروحى المتخصص ، الذى بموجبه كان الراهب المبتدئ يتسلم قواعد الحياة الرهبانية من نسك وسهر وصوم وعبادة وحب للخلوة وممارسة أعمال الإماتة لشهوات الحواس .

أما التعليم الديرى

أما التعليم الديرى ، الذى وضعت أسسه وخططه وفقاً لقوانين القديس باخوميوس ، باللغة القبطية ، أوائل القرن الرابع ، فقد أكد على الشكل الجماعى فى التعليم والذى يمكن توضيحه على الوجه الآتى :

١ — اشتراطه على طالب الرهبنة قضاء **ثلاث سنوات كفترة إعداد** واختبار لإعداده لتقبل إلتزامات الحياة الجديدة والعمل بشروطها .

وخلال هذه الفترة كان :

(أ) يتعلم القراءة والكتابة إذا كان جاهلا بهما .

(ب) يحفظ عن ظهر قلب عدداً من المزامير وفصول العهد الجديد .

(ج) يطالع سير الآباء ويمارس حياة الخلوة وإماتة الشهوات الرديئة .

٢ — جدول الدراسة بأديرة باخوميوس : نظم باخوميوس ثلاثة دروس يومية للمبتدئين ودروس أخرى عامة يومى الأربعاء والجمعة لتفسير الكتب المقدسة والتعاليم المسيحية . وكان حضورهما إجبارياً .

٣ — تقسيم الرهبان إلى أسر تضم كل أسرة جنسية معينة : السريان ، اللاتين ، اليونان ، الإثيوبيين ... الخ . وكان لكل أسرة معلم يختار من بين أعضائها للتفاهم معهم وإرشادهم .

٤ — المكتبة ودورها فى التعليم : امتداداً من الاهتمام باقتناء الكتب وتكوين المكتبات ، منذ عهود مصر القديمة ، وجدت بكل دير فئة النساخ والكتاب ، وكانت تمثل عملا من أهم الأعمال داخل الدير إذ انحصرت مهمتهم فى كتابة الكتب ونسخ المخطوطات بمكتبة الدير . ومن هذه المخطوطات : أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، كتب التسبحة ، والخولاجيات والاجبيات ، أى صلوات الساعات ، وصلوات البصخة ، وكتب الميامر ، والقطمارس السنوى ، وسير الآباء البطاركة ، وخطاباتهم الخاصة بالرد على البدع ، وترجمات حياة الشهداء وأعمالهم ، وكتب تكريس الكنائس وإقامة الرعاة ، وقوانين الكنيسة ، والردود على الخلافات العقائدية واللاهوتية . وبنفس أدوات الكتابة التى استخدمها قدماء المصريين ، وماقد يكون قد أدخل عليها من تطوير وتحسين ، قام الآباء الرهبان بنسخ كتبهم مستخدمين الزخارف المختلفة وخاصة التى على شكل صليب . وجدير بالذكر أنه كان لكل من المخطوطات الثمينة جراب إما من الجلد أو من الخشب أو من الفضة أو الذهب .

٥ — نظم التعليم : اتحدت نظم التعليم التى كانت متبعة فى الأديرة جميعاً ، ومنها أديرة الراهبات أيضاً ، إلا أن أديرة الأنبا شنودة ، رئيس المتوحدين ، قرب سوهاج ، تميزت بدراستها للآداب القبطية التى سجلت باللهجة الصعيدية التى عمل هذا القديس على تخليصها من كل التأثيرات البيزنطية . بالإضافة إلى ذلك فقد حتم قانون باخوميوس ضرورة العمل اليدوى والمهنى ،

وكانت مجالاته : صناعة الحصر ، والحياكة ، والنجارة ، والحدادة ، والفلاحة ، والمعمار ، والبناء ؛ فضلا عن أعمال النسخ والكتابة . فى الوقت نفسه كان الرهبان يقومون على كفالة كل احتياجات الدير عملا بالمبدأ الإنجيلى « إن كان أحد لايريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً » (٢ تس ٣ : ١٠) وهو مبدأ تربوى عميق المعنى .

ولقد أدت هذه النظم إلى نجاح الأديرة فى أن تحقق الكثير من النتائج الهامة بالنسبة لتراثنا المصرى والمسيحى خلال العصور الوسطى :

(أ) فالأديرة ظلت تعيش فى أمن وسلام وسط عالم منهار ملئ بالفزع والفوضى ، وكم من خدمات قدمتها للمجتمع كخدمة التطبيب ، وخدمة الإيواء ، وتقديم الغذاء والدواء وخاصة فى أوقات الأوبئة والمجاعات .

(ب) أن الدراسة والتأليف كانا من أهم أعمال الرهبان الذين تابعوهما فتابعوا بذلك إضافة الكثير من ألوان الثقافة والمعرفة إلى التراث المصرى والإنسانى . ومن هنا بقى الدير ، وخاصة دير القديس مقاريوس الكبير الذى رحل إليه علماء مدرسة الاسكندرية ، بعد إغلاقها فى فاتحة القرن السادس ، ومعهم المخطوطات الثمينة التى كانت بمكتبة المدرسة ، مكاناً لاجتماع علماء الكنيسة وبطاركتها ، ومراجعة العبادات ، وتقويم النظم والقوانين .

(ج) أن الأديرة كانت مجال تطوير أنواع الفنون الصناعية والزخرفية ، وعمل الأيقونات ، وحجب الهيكل ، وبناء القباب والمنابر ، والمنارات والحصون ، وقد أفادوا فى هذا كله من خبرات أجدادهم فى استخدام أنواع الطوب والحجارة المناسبة .

(د) كذلك ظلت الأديرة محطاً لزيارة الأعداد الكبيرة من طلاب الفضيلة من الأقطار الأخرى مما كان وسيلة لتناقل الخبرات والأفكار من ناحية ، وتصحيح أى خطأ تقع فيه كنائس وأديرة أوربا من

ناحية أخرى . هذا بالإضافة إلى ماسجله هؤلاء الزوار من ترجمات وسير وأعمال آباء هذه الأديرة .

(هـ) أن الدير ظل منطلقاً لخدمة رسالة الكرازة والتبشير بالمسيحية فى مصر وخارجها سواء فى أقطار البحر المتوسط أو الأقطار الأوربية . وقد اقترنت حركة الديرية فى أوربا بتقديم أجل الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية والروحية للمجتمعات الأوربية عامة على أيدى الجماعات الرهبانية والديرية مثل البندكتان والدومينيكان والفرنسيسكان والإخوة .

(و) كذلك بقى الدير مركزاً لإعداد رعاة الكنائس وتدريبهم ، ومن الوسائل التى ساعدت على ذلك أن ثمة اجتماعين كبيرين كانا يعقدان دائماً فى عيدى الفصح والصليب لآباء الأديرة الباخومية للتدارس فى أحوالها ، والنظر فى مختلف شئونها وحل مشكلاتها . وقد ثبت أن ثمة علاقة وثيقة بين دير القديس مقاريوس الكبير بوادى النطرون والكنيسة الإيثوبية من جهة رسامة المطارنة .

(ز) ولأن الآباء الرهبان كانوا على اتصال دائم بالمعرفة والدراسة والبحث فقد كان طبيعياً أن تكون الأديرة مركزاً لمقاومة البدع والهرطقات ، والحفاظ على الإيمان الأصيل ، وقد أدى ذلك ، ضمناً ، إلى بروز دور الأديرة الكبير فى مقاومة النفوذ البيزنطى ، خاصة مع اختلاف العقيدة الملكانية السائدة فى بيزنطة عن عقيدة الطبيعة الواحدة السائدة فى مصر ، مما كان مجالا لتأكيد استقلال القومية المصرية لغوياً ولاهوتياً . من هنا كانت شهادات المؤرخين عن أثر حركة الرهبانية والديرية فى تقدم الفنون والعلوم وأن مبادئ حضارتنا إنما تعتبر فصلا من فصول تاريخ الرهبنة . بل إن بعض المؤرخين يرى أن قيام النهضة الأدبية والفكرية الأولى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، تلك النهضة التى تقترن بقيام العلوم الإنسانية ، ونشأة الجامعات ، فى العصور الوسطى ، إنما جاء أثراً من آثار تلك الهيئات الديرية التى يرجع تكوينها فى الأصل إلى عبقرية القديس باخوميوس المصرى .

ثانياً : المدارس خارج الأديرة

لم تكشف لنا آثار العصور الوسطى عن المدارس التى أنشأتها الأديرة ، ربما لاندثار هذه الآثار واختفاء معالمها ؛ ويبدو أن القبط كعادتهم ، وخاصة الرهبان منهم ، دأبوا على إنكار ذواتهم فيما يقدمونه من خدمات سواء لأمتهم أو لكنيستهم ؛ غير أننا نعلم أن :

(أ) دير القديس أنطونيوس أسس ، فى أوائل القرن التاسع عشر ، مدرسة ابتدائية فى بوش لتعليم أولادها وبناتها ، وكان رئيس الدير ، وقتها ، هو القمص داود الأنطونى الذى صار فيما بعد البابا كيرلس الرابع .

أما علة اختيار مركز بوش بالذات لإنشاء المدرسة فلأنها كانت مركز إدارة أوقاف هذا الدير .

(ب) دير البراموس : أنشأ مدرسة ابتدائية بطوخ دلكة ، ويرجح أن يكون ذلك فى أواخر القرن التاسع عشر .

(ج) دير السيدة العذراء بصحراء أسيوط — والمعروف باسم الدير المحرق — أسس مدرسة ابتدائية وأخرى إعدادية عرفتا بأنهما مدارس الدير فى قريتين متجاورتين يتعلم بهما أولاد المنطقة على أيدى الرهبان الذين لهم المقدرة على القيام بهذه الخدمة .

ولاشك أن الفترة التى عاصرت وجود مئات الأديرة على طول الوادى خلال العصور الوسطى المتقدمة ، تميزت بتوافر الكثير من المدارس التى قامت بتعليم الناشئة . ونرجح أيضاً أن بعض هذه المدارس لم تكن قاصرة على الأطفال الأقباط بل شملت الأطفال المسلمين أيضاً .

---

* أمضى الرئيس أنور السادات دراسته الإبتدائية بهذه المدرسة وكان ذلك فى العشرينيات من هذا القرن .

القسم الثانى

الكتاتيب كأهم معلم من معالم التربية عند القبط فى العصور الوسطى

الكُتّاب القبطى

لمدة قرنين ، بعد الفتح العربى ، أو تزيد ، واصل القبط حياتهم العادية واستمروا فى تعليم أولادهم فى كتاتيب القرى ، التابعة للكنيسة ، أو التى كان يقوم بإنشائها أقرب دير . وقد يكون الكتاب تابعاً لأسقف الإيبارشية . والواقع أن الوثائق التى عثرنا عليها فى عهد الخلفاء الأول ، وكذلك فى عهد الدولة الأموية ، أى فى القرنين السابع والثامن الميلاديين كانت قليلة إن لم تكن نادرة بحيث أن مدى معرفتنا للحياة العقلية والمدرسية يأتى ضئيلا للغاية .

ولقد بقى الأقباط يستخدمون اللغتين اليونانية والقبطية ، ويتعلمونهما . ذلك أن حكم الإغريق لمصر ، منذ فتح الاسكندر سنة ٣٣٠ ق. م ، لم يقف عند الحد السياسى أو الحد الاقتصادى فقط وإنما كان أيضاً حكماً لغوياً وعقيدياً عانى منه الأقباط كثيراً . ولعل من أبرز صور المعاناة اضطرارهم لتعلم اللغة اليونانية التى كانت تستخدم ، كما كان متوقعاً ، بدواوين الحكومة فلما دخل العرب مصر ظلت هذه اللغة لمدة طويلة هى أداة الاتصال بينهم وبين المصريين بل إن جانباً غير قليل من الصلوات كان يتلى باللغة اليونانية .

على أن التعليم فى الكتاب ظل يهدف إلى تأكيد التربية الدينية بتحفيظ الألحان الكنسية ، وبعض فصول الكتاب المقدس والمزامير ، وكذلك تعليم اللغة القبطية بالإضافة إلى تعليم العمليات الحسابية وخاصة تلك المرتبطة بمساحة الأرض وقياسها ، وكذلك حسابات التجارة : فهى ضمان الحصول على مورد الرزق والحفاظ على الدخل .

ونعرف أن استخدام اللغة العربية كان آخذاً فى الازدياد . فبازدياد إنتشار الإسلام ، وبنمو عدد القبائل العربية الوافدة لمصر ، اتسع نطاق استخدام اللغة العربية فى العاصمة والمدن الكبرى ، ولكن ، بالرغم من ذلك بقيت اللغة القبطية هى اللغة السائدة . وكان لابد أن يتعلم القبط اللغة العربية ؛

خاصة بعد تعريب الدواوين فى عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فى أواسط القرن الثامن الميلادى ، وهنا تمر اللغة القبطية بعدة مراحل :

الأولى : كتابة اللغة العربية بالحروف القبطية ، وربما امتدت هذه المرحلة إلى نهاية القرن التاسع .

الثانية : مرحلة إتقان اللغة العربية ووصلت إلى ذروتها فى القرن العاشر حين ألف بها أولاد العسال ، وساويرس بن المقفع وغيرهما .

الثالثة : فى العصور الوسطى المتأخرة ،والعصور الحديثة حين أصبحت اللغة القبطية تكتب بالأحرف العربية .

ومع ذلك فيجب أن نتذكر أن القبط لم ينسوا لغتهم بل ظلوا مدة طويلة يستخدمونها ، وكذلك لم يكن بإمكانهم تعلم اللغة العربية فى مدة قصيرة بل كان لابد أن تمر فترة انتقال بين استخدام اللغتين .

وقد عثر علماء الآثار على الكثير من الكلمات القبطية مكتوبة بالعربية ، ولاسيما من الصعيد حيث استمرت اللغة القبطية متداولة بين الأقباط فى بعض البلاد هناك حتى القرن السابع عشر الميلادى .

أما أول من كتب بالعربية فى القرن العاشر فكان الأنبا ساويرس ابن المقفع ، أسقف ملوى والأشمونين ، الذى سجل سير البطاركة ؛ ثم تبعه أولاد العسال . ويعنى هذا أن القبط كانوا قد قطعوا مرحلة غير قصيرة فى تعلم العربية وتعليمها ؛ خاصة بعد أن ترجموا القداس إليها ومعه كل مايتضمنه من قراءات .

ومن الطبيعى أن ينتقل تيار تعلم العربية وتعليمها إلى الدير فبدأ الرهبان فى ترجمة المؤلفات القبطية إلى اللغة الجديدة ، كما أخذوا فى كتابة مخطوطاتهم بها ، وتابع الأقباط تقليدهم الذى جروا عليه منذ أقدم العصور فى تكوين المكتبات الخاصة ، وكان الأغنياء منهم يكلفون الرهبان بنسخ الكتب إما ليحتفظوا بها فى مكتباتهم ، أو ليهدوها للكنائس لاستخدامها فى العبادة . وكان النساخ يحلون صفحات هذه الكتب بالكثير من الزخارف .

وكان هذا شأن الأقباط فى مختلف الفنون الصناعية الأخرى التى تسلموها جيلا فى إثر جيل ، مما كان له أكبر الأثر فى بقاء الصناعة كتراث متصل غير منقطع . حقيقة إن الرسوم والنقوش والزخارف الفنية تباينت بتباين نوعية الفاتحين والحاكمين : ففى العصور الإسلامية الأولى بدت فى تشكيلات تختلف عنها فى العصور المتأخرة ، إلا أن الجوهر ظل قائماً يتسلمه الأبناء والأحفاد عن الآباء والأجداد . ومما أكد لبقاء هذا التراث بروز سمات وخصائص معينة تميزت بها الكثير من المدن المصرية فى إتقانها لفروع هذه الفنون مما أعطاها طابع الثبات والتغير إلى الأحسن . كل هذا كان ولاشك ينهض على أساس من التعليم والتلمذة المباشرة التى كان طبيعياً أن تنتهى إلى قيام نظام الطوائف الصناعية التى عرفت بها مصر قرب العصور الوسطى المتأخرة ، والذى ارتبط به نظام آخر هو نظام التلمذة الصناعية ، والذى لم يكن بإمكان أحد من خلاله أن يصل إلى مركز المعلم الحرفى إلا بعد أن يمر بمراحل تعليمية وتدريبية معينة يثبت فيها جدارته بالترقى . أما فى غير المجال الصناعى فقد كان من المعروف — كما يقول البلاذرى فى فتوح البلدان — أن « يقوم غير المسلمين بمهنة تعليم القراءة والكتابة » . ولقد أدى ذلك إلى وجود عدد من علماء القبط على معرفة واسعة بالمذاهب الإسلامية ، وفى الوقت نفسه يجيدون التعبير عن تاريخ كنيستهم وعقيدتها وطقوسها وقوانينها وتفسير كتبها . فإذا أضفنا إلى ذلك مادرج عليه الأقباط من التثقيف الذاتى ، وماتميز به الدير من تكريس الراهب حياته كلها للعبادة والدراسة والاستزادة من الفضيلة والمعرفة اللاهوتية والعقلية ؛ أدركنا كيف سارت التربية خلال العصور الوسطى منذ الفتح العربى فى القرن السابع حتى عهد الحملة الفرنسية فى فاتحة القرن ١٩ بذات الأساليب العقلية والفنية التى كانت متبعة فى العصرين الرومانى والقبطى .

ومن أقوى الأدلة على أثر التعليم فى تواصل التراث المصرى ، خلال العصور الوسطى ، أى منذ الفتح العربى حتى الحملة الفرنسية ، أن القبط بدأوا عصر نهضة فكرية شاملة لمختلف النواحى بدت مظاهرها فيمن ظهر

من العلماء ، خلال القرنين العاشر والحادى عشر بصفة خاصة ، وفيهم تمثلت القوة التى أسهمت فى الإضافة للدراسات الكنسية بمختلف فروعها ، وكذلك فى الكتابات التاريخية . بل إن معظم هؤلاء العلماء تميز بالموسوعية فكان مجيداً سواء فى المسائل الدينية والتفسير ، أو فى اللغات والشروح القانونية ، أو فى تصنيف القوانين وشرحها . والأمثلة كثيرة . وإن دلت هذه الظاهرة على شئ فعلى أصالة الدافع لدى القبط للاستزادة من المعرفة ، ودأبهم بلا انقطاع ، على حفظ التراث ، تعلماً وتعليماً ، وتسلماً وتسليماً ، فى أمانة والتزام ، يقطعان بتوافر اتجاه التلمذة ، والتثقيف الذاتى ، بواسطة المكتبة ، والاهتمام بوجود المعلم الخاص ، واستمرار تناقل الخبرة بين الكنيسة فى العالم ، والدير فى الصحراء . فقد كان نزول بعض الآباء الرهبان إلى أسرهم بالمدينة أو القرية يقترن عادة بإحضار بعض المخطوطات ، وتعليم وتدريس طقوس الكنيسة وعقائدها وتاريخها ، أو العمل على إنشاء كتاب للدير يقوم بالإنفاق عليه من ريع الوقف المخصص له ؛ هذا بالإضافة إلى بث روح الحماس الروحى لاحتمال أى اضطهاد .

أما نظام التعليم العام ، والذى كان سائداً فى مصر ، سواء بين المسيحيين أو بين المسلمين ، فهو ، كما سبق الذكر ، نظام الكتاتيب حيث كان معلمون كفيفو البصر ، يقومون على تعليم الأطفال أدوات المعرفة الأولى من قراءة وكتابة وحساب ، وفصول من الإنجيل والألحان الكنسية . والوضع نفسه كان بالنسبة للكتاب الإسلامى ، وخاصة بعد إنشاء الأزهر فى القرن العاشر ، فقد أصبح عدد هذه الكتاتيب بالفقهاء سواء بالمدن أو بالقرى . وبوجه عام ، كان وجود هذه الكتاتيب قرين الحاجة إلى التعليم الأولى ، وحينئذ يقوم فقيه درس بالأزهر ؛ وقد يكون كفيف البصر أيضاً ، **كما كان حادثاً بالنسبة للكتاتيب المسيحية** ، ليجتمع حوله أبناء الأسر ويبدأ بهم كتابه ومكانه عادة فناء المسجد أو الزاوية المخصصة للصلاة سواء بالقرية أو فى بيوت أصحابها . وكانت طرق التعليم المستخدمة بدائية : الحفظ والتلقين ، وكذلك كانت وسائل الثواب والعقاب ؛ أما أجور المعلمين أو العرفاء فكانت غالباً عينية وربما

كان هذا النظام ، فى عمومه ، سبباً فى أن يندس أحياناً غير الصالحين أو الأكفاء للقيام بعملية التعليم هذه ؛ فضلا عن ضيق المكان ، وقذارته ، وعدم صلاحية أثاثه ؛ مما أدى ، مع الوقت ، إلى ترحيب الناس بنظام المدارس الحديثة على عهد محمد على ، أو بمدارس الإرساليات الأجنبية حين وصلت مصر على أواسط القرن التاسع عشر .

وبالرغم من أن القبط كانت تمر بهم عصور تأخر شديد ، كما فى القرن التاسع فى عهد المأمون ، وأواخر القرن ١٤ فى عهد المماليك ، ثم طوال عهد العثمانيين كله ، حتى فاتحة القرن التاسع عشر ، إلا **أنهم سرعان ما كانوا يستعيدون موقعهم مرة أخرى ويتابعون مسيرتهم الحضارية** . وكان التعليم ، ولاشك ، وراء هذه الظاهرة . فبالرغم من أن فترات الانحلال ، وما كانت تتسم به من تأخر الحياة الفكرية ، وغياب السلوك الحضارى ، خاصة فيما يتعلق بمعاملة الحاكم ، كانت نسبة القادرين على القراءة والكتابة تقل ، حتى لقد وصلت ، فى عصر المماليك مثلا ، إلى مالايزيد عن ٥ ٪ من عدد السكان . ذلك أنها انحصرت فى الكنائس والكتاتيب الملحقة بها ؛ وفى الأزهر ودواوين الحكومة ، إلا أن أغلب القبط كانوا يواصلون تعليمهم وتلمذتهم ، كما كان الكثيرون يلجأون إلى الفنون الدقيقة والصناعات الرفيعة يصبون فيها اهتمامهم ، ويحصلون منها على خبز يومهم ، ويسلمونها بالتالى إلى أولادهم ليتابعوا ممارستها من بعدهم ، وكان ذلك يؤدى بهم بالتبعية إلى الاندماج فى الطوائف الصناعية والحرفية . كذلك كان الكثيرون منهم ، لإتقانهم فن حساب المساحة الزراعية ، يعينون فى وظائف الكتاب والمحاسبين . ومع ذلك فمن الواضح أنهم فى بعض الحقب كانوا يكتبون ويقرأون ، بل ماأكثر ما كانت كتابتهم — بالرغم من ذلك — تتخللها أخطاء كثيرة . أما مقدرتهم فى الحسبة فكانت على درجة كبيرة من الكفاءة لما كانوا يتمتعون به من قوة الذاكرة . وكان الأطفال يتسلمون طرق الحسبة من والديهم ، وكذلك من دراستهم بالكتاتيب ، أو من تدريبهم ببعض المحلات التجارية ، أو مع قبانى القرية ؛ ليشقوا طريقهم إلى مستقبلهم . ويبقى الريف حيث كانت

المهنة الغالبة ، بطبيعة الحال ، هى الزراعة ، فكان أغلب القبط يعملون فيها ، وعنهم يتسلمها أولادهم ، وهم بعد فى سنى نشأتهم المبكرة ، بالممارسة والتدريب العملى . على أن البعض ، ممن كانوا يتقنون الألحان الكنسية ، وخاصة إذا كانوا كفيفى البصر ، ولهم القدرة على تعليم هذه الألحان ، كان مجالهم بعد ذلك القيام بالتدريس فى الكتاتيب الملحقة بالكنائس .

ويبقى أن نشير أنه إذا كان القبط واصلوا تعليم أولادهم بالكتاتيب الملحقة بالكنائس ، فإن التعليم داخل الأديرة قد استمر ، فى حدود إمكانيات المقيمين به ، فقد تعرضت أديرة كثيرة للهدم ، والتخريب ، أما المكتبات الملحقة بها فقد نهبت أو أحرقت أو نقلت إلى بعض البلاد الأوربية ؛ مما كان عاملا فى أن يخبو ، ولو إلى حين ، مشعل الثقافة وإن ظلت الجذوة الأصلية كامنة تنتظر التوهج من جديد .

القسم الثالث

التربية عند القبط فى مصر الحديثة
من سنة ١٨٠١ حتى ١٩٩٤م

مقدمة :

تقسيم هذه الحقبة إلى أربع فترات ودراسة محاور هذا التقسيم :

* الفترة الأولى : من سنة ١٨٠١ إلى سنة ١٨٦٢
أى من خروج الحملة الفرنسية حتى نهاية عهد الوالى سعيد

* الفترة الثانية : من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٩٢٤
أى منذ عهد إسماعيل حتى صدور الدستور المصرى
وقيام الدولة المصرية البرلمانية

* الفترة الثالثة : من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٥٢
وتشمل عهد الاستقلال الجزئى حتى قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢

* الفترة الرابعة : من سنة ١٩٥٢ إلى نهاية عهد السادات سنة ١٩٨١
أى منذ قيام ثورة يوليو حتى تولى حسنى مبارك رئاسة الجمهورية
المصرية .

المقدمة

محاور تقسيم الحقبة من سنة ١٨٠١ حتى وقتنا الحاضر إلى أربع فترات

مقـــدمة :

انتهينا فى القسمين الأول والثانى إلى دراسة أصول التربية القبطية ، فى العصور القديمة والوسطى ، ومايتصل بالتعليم عند القبط من مناهج وخطط ، وارتباط هذا كله بالمسار الثقافى لمصر ، خلال هذه العصور حتى العصور الحديثة التى تبدأ سنة ١٨٠١ بخروج الحملة الفرنسية . وقد اعتبرنا دراسة تاريخ التربية فى هذه العصور المدخل الطبيعى لدراسة المسار التربوى عند القبط فى الأزمنة الحديثة . ولأن هذه الأزمنة تشمل الحقبة من سنة ١٨٠١ حتى وقتنا الحاضر ، وتضم نحو ١٨٠ سنة ؛ فقد وجدت تسهيلا لدراستها ، أن أقسمها إلى أربع فترات :

الفـترة الأولى :

من سنة ١٨٠١ : أى منذ خروج الحملة الفرنسية حتى سنة ١٨٦٢ : وهى نهاية عهد الوالى سعيد . وقد تتابع فى هذه الفترة ثلاثة من الآباء البطاركة : البابا مرقس الثامن ، والبابا بطرس الجاولى ثم البابا كيرلس الرابع وهو العاشر بعد المائة وصاحب الإصلاحات التعليمية والثقافية والاجتماعية المعروفة .

الفـترة الثانيـة :

من سنة ١٨٦٣ : أى منذ عهد إسماعيل إلى سنة ١٩٢٤ وهى السنة التى صدر فيها الدستور المصرى وقامت الدولة المصرية البرلمانية . ويوافق هذا العام صدور أول قانون لتعميم التعليم الأولى مما آذن ، ولو نظرياً ، بوضع نهاية لطرق التعليم فى العصور الوسطى ، وأهمها الكتاتيب ، وانتشار المدارس الحديثة التى كان محمد على قد بدأ فى إنشائها منذ فاتحة القرن ؛ وكان معنى ذلك

أن التعليم أصبح يسير على قدمين : كما يقول الصينيون . ولقد شهدت هذه الفترة إنشاء الجامعة الأهلية وقيام المجلس الملى العام ، والمجالس الملية الفرعية ، ونشأة عدد غير قليل من الجمعيات التى كان نشر التعليم أهم أهدافها . أما الآباء بطاركة الكنيسة الذين عاصروا هذه الفترة فهما اثنان : البابا ديمتريوس (١١١) ، والبابا كيرلس الخامس (١١٢) وكان من أهم معاونيه الأرشيد ياكون حبيب جرجس الذى كان له الفضل الأكبر فى تطوير فكرة مدارس الأحد ، وفى تأسيس الكلية الإكليريكية لإعداد رعاة الكنيسة .

الفترة الثالثة :

من سنة ١٩٢٥ حتى قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ . ومن البابوات الذين عاصروها : البابا يؤنس التاسع عشر (١١٣) ، ومكاريوس الثالث (١١٤) ، ويوساب الثانى (١١٥) . وقد شهدت نهضة الإكليريكية ، والتعليم الدينى سواء بالمدارس العامة أو بمدارس الأحد الملحقة بالكنائس والجمعيات القبطية ، وكذلك بدء نهضة التعليم الروحى بالأديرة بعد تقدم عدد كبير من المكرسين لنذر الرهبنة . وجدير بالذكر أن هذه الفترة شهدت صدور عدد كبير من القوانين التى طورت التعليم العام منه والخاص وكذلك إنشاء الجامعة المصرية الأميرية .

الفترة الرابعة :

من سنة ١٩٥٢ حتى نهاية عهد الرئيس السادات سنة ١٩٨١ : وتشمل عهدى البابا كيرلس السادس (١١٦) ، وشنودة الثالث (١١٧) وقد شهدت تطور الدراسات اللاهوتية العليا بإنشاء المعاهد المتخصصة ، وتطور خدمة التربية الدينية والأسرية فى مختلف مظاهرها ، وأوساطها وخاصة بعد إنشاء أسقفية البحث العلمى والدراسات العليا والثقافة القبطية ، وكذا أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية . أما من ناحية التعليم العام فقد صدر قانون توحيد التعليم الابتدائى رقم ٢١٠ لعام ١٩٥٣ ، وقانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٦ الذى حدد مدة هذا التعليم بست سنوات ، ثم قانون التعليم الأساسى بتوحيد المرحلتين الابتدائية والإعدادية لسنة ١٩٨١ .

الفترة الأولى
أحوال التعليم عندَ الأقبَاط
الفترة من ١٨٠١ - ١٨٦٢
من خروج الحملة الفرنسية حتى نهاية عهد الوالى سعيد

أحـوال التعـليم عند القبط فى الفـــترة من سنة ١٨٠١ إلى سنة ١٨٦٢

خلال هذه الفترة ظل التعليم فى المحيط القبطى مستمراً على ماهو عليه منذ العصور الوسطى :

(أ) إما فى الكتاتيب الملحقة بالكنائس وهى الكتاتيب التى ينشئها الآباء الأساقفة والكهنة ، أو الأديرة القريبة ، أو بعض العائلات المقتدرة ؛ وكان وجود المعلم والعريف عاملا هاماً فى فتح الكتاب وضم الأطفال إليه

(ب) أو بواسطة المعلمين الخصوصيين فى المنازل وخاصة فى تعليم الفتيات ، ذلك أن نسبة الأمية فى محيط المرأة كانت كبيرة . والكثير من العائلات لم يكن يسمح لبناته بالتعلم .

(ج) وإما عن طريق التثقيف الذاتى فى المنازل وبين العائلات بما كانت تمتلكه من خزائن الكتب تحتفظ فيها بالمخطوطات والكتب فى مختلف نواحى المعرفة الدينية منها والعلمية لدراستها ونقل ما بها إلى أفراد الأسرة كتراث قبطى .

(د) وبالنسبة للتعليم الحرفى فقد ظل يمارس فى المنازل أو الحوانيت ، أو الورش والمصانع الصغيرة التى كانت بمثابة مراكز تدريب عملية يتتلمذ فيها الصغار لتعلم حرفة ما . أما فيما يتصل بالتجارة فكان مجال التدريب عليها الالتحاق بالحوانيت ، أو العمل تحت إشراف قبانى القرية أو خولى الزراعة وكانت العناية بدراسة الحساب والعمليات المرتبطة به عاملا مساعداً ولاشك فى سرعة اكتساب المهارة فى هذه المجالات المختلفة .

(هـ) على أن هناك نوعاً آخر من التعليم عرفه الأقباط فى فاتحة هذا القرن ونعنى به التعليم العسكرى . فنحن نعرف أن الجنرال يعقوب — القائد المصرى — كان أول من وضع مشروعاً لاستقلال مصر عن المماليك والعثمانيين **بعد خروج الفرنسيين سنة ١٨٠١** ، وكانت تحت إمرته

كتيبة من مواطنيه القبط عددهم ألفا جندى وكانوا يرتدون الملابس العسكرية الفرنسية ويشرف على تدريبهم ضباط فرنسيون بل إنهم انضموا لهذا الغرض للجيش الفرنسى فى مصر . وكانت هذه هى الفرصة الوحيدة التى تلقى فيها القبط تدريباً عسكرياً .

وفى الحقيقة أن المؤرخ يعتبر هؤلاء القبط المصريين ، الذين دربوا على النظم العسكرية الحديثة قبل عهد محمد على الذى قام سليمان باشا الفرنساوى بإعداد الجيش فى عهده ، أول طليعة لتحقيق استقلال مصر الحديثة .

نظام التعليم كما وضعه محمد على وموضع الأقباط فيه :

إن محمد على وإن أهمل الكتاتيب لكنه لم يلغها بل تركها تسير جنباً إلى جنب مع المدارس الحديثة التى أسسها . وهكذا وجد نظامان : نظام جامد غير قابل للتطور ، ونظام حديث يؤدى بمن يلتحق به إلى الوظيفة والمركز الاجتماعى . وقد بقيت الكتاتيب تمثل نظاماً شعبياً ، بين المسلمين والمسيحيين على السواء . ومن أهم المراجع فى دراسة هذا المعلم الهام من معالم تعليمنا الحديث : سير الشخصيات ، فى المجالين الإسلامى والمسيحى على السواء ، أمثال رفاعة الطهطاوى والبابا كيرلس الرابع فى أوائل القرن التاسع عشر ، ومحمد على علوبة وأحمد أمين ، والقمص فيلوثاؤس إبراهيم ، وسلامة موسى فى أواخره . ونذكرهم على سبيل المثال لا الحصر .

وبالنسبة لالتحاق الأقباط بمدارس محمد على فلا نعرف على وجه الدقة إن كانت قد أعطيت لهم هذه الفرصة أم لا . إنما نستثنى مدارس المحاسبة فمن المعروف أن محمد على رغب فى وضع نظام جديد للمحاسبة لتطويرها والأخذ فيها بالطرق الأوربية الحديثة فأنشأ بعض مدارس لتعليم طرقها الحديثة ، وغالباً أتيحت الفرصة للتلاميذ الأقباط أن يشتركوا فيها لما كان معروفاً عنهم من إتقان لمسائل المساحة والرياضيات التى كادت أن تكون حكراً عليهم . أما بالنسبة للبعثات التى بدأ محمد على بإرسالها للخارج منذ سنة ١٨٢٦ فليس فى قوائمها اسم لقبطى واحد . ولعل الوضع نفسه قد اتبع فى المدارس العليا : كالهندسة والطب والصيدلة والمدارس العسكرية وغيرها

لكن يجب أن نشير هنا إلى أن هناك مبعوثاً قبطياً واحداً هو « واصف عزمى» الذى أرسل فى عهد الوالى سعيد سنة١٨٥٥ فى بعثة إلى فرنسا لدراسة القانون والإدارة المدنية وعاد ليشغل مناصب إدارية هامة بينها منصب الرئيس الفخرى للمحاكم سنة ١٨٦٣ .

ولقد اتجه محمد على ، عقب توليه الحكم سنة ١٨٠٥ ، إلى الاستعانة بعلماء فرنسا فى النهوض بالتعليم فى مصر ؛ غير أنه ، كما نعلم ، بدأ بالمدارس العليا والبعثات وانتهى إلى المرحلة الابتدائية . ومعروف أنه كان يهدف ، من إنشاء المدارس ، إلى إعداد جيش قوى ، وجهاز مركزى إدارى ، يكون هو على رأسه ، ويسيطر به على زمام البلاد : سياسياً ، ومالياً ، وعسكرياً . وكان يأخذ المبعوثين من الأزهر ، أما تلاميذ مدارسه الابتدائية فكان يأخذهم من الكتاتيب الملحقة بالمساجد . ولأن أبناء الأقباط لم يكن لهم نصيب فى هذه المدارس كلها التى أغلق أغلبها ، كما نعلم ، بعد سنة ١٨٤١ ؛ فقد أقبلوا على الالتحاق بمدارس الإرساليات الأجنبية ، التى بدأت تأتى فى الثلث الثانى من القرن التاسع عشر ، وتحدث عنهم Paton ، Hamot اللذان عاشا فى مصر خلال هـــذه الفترة . فمن أهم المدارس التى أنشئت ، فى هذه الفترة ، المدارس التى أنشأها mr Leider ، ثم مدارس البعثة الأمريكية الأسقفية التى وصلت سنة ١٨٥٤ لكن أغلب العائلات التى ألحقت أبناءها بهذه المدارس كانت من الطبقة الفقيرة . ذلك أن هذه الإرساليات كانت تدعم رسالتها التعليمية بالخدمات الاجتماعية التى كان من الطبيعى أن تلاقى ترحيباً كبيراً وسط شعب ظل يعانى من الحرمان والظلم لقرون كثيرة ولاشك أن وحدة الديانة كانت من أسباب إقبال الأقباط على مدارس هذه الإرساليات ، التى كان أعضاؤها يتقنون العربية فكانوا قادرين على سرعة التفاهم مع الطبقات العامة مما كان له أكبر الأثر فى جذبها إليهم ، خاصة أنهم كانوا يقومون بنشر الكتاب المقدس ، وتفسيره ، بل إن إحدى الإرساليات أنشأت مدرسة لإعداد الرعاة لكن المشروع لم يلبث أن فشل ، بعد ثمانى سنوات ، لأن أساقفة الكنيسة القبطية رفضوا سيامة أى خريج منها ذلك أن

تيار معارضة قوى قد قام ضد هذه المدرسة ، ثم تطور ليصبح ضد الإرساليات بوجه عام ، وكان مؤدى هذه المعارضة أن هذه الإرساليات تعمل على ضم العائلات الفقيرة والتأثير على أولادها وبناتها ، وجذبهم إلى عقائد غريبة عن العقيدة الأرثوذكسية . وكان أن أخذ الكثير من هذه العائلات يسحبون أولادهم وبناتهم منها ليلحقوهم بالمدارس القبطية التى كان مستهلها فى أواسط القرن بواسطة البابا كيرلس الرابع ، والذى تبعه فى إنشائها الكثير من العائلات المقتدرة ، والجمعيات التى قامت فى أواخر القرن ؛ ثم خلفائه من الآباء البطاركة ، والأساقفة . وندرس بشئ من التفصيل جهود البابا كيرلس الرابع التعليمية بين سنة ١٨٥٤ ، سنة ١٨٦٢ .

ثمار الكتاتيب القبطية فى الناحية القومية :

وبالرغم من أن مناهج التعليم فى الكتاتيب القبطية كانت لاتزيد ، كما ذكرنا ، عن تدريس تلاميذها أدوات المعرفة ، والعمليات الحسابية ، واللغتين القبطية والعربية ، والألحان الكنسية ، وبعض فصول الإنجيل ، إلا أن تربيتهم الدينية فى ضوء المبادئ المسيحية ، وكذلك بفضل طقوس الكنيسة ونظمها التى نجحت فى ربطهم ببلدهم وأرضهم وحضارتهم وتراثهم ، حتى باءت بالفشل كل محاولة لضم الكنيسة القبطية إلى أية كنبسة أجنبية : وكان رد البابا المصرى ، ومن ورائه الشعب ، فى كل محاولة واحداً بالرغم من تباعد العهود ، وتباين الظروف والمؤثرات . ونستدل من ذلك على ماجبل عليه الأقباط ، بحكم الأصول التربوية ، من مشاعر الارتباط الوثيقة ببلدهم مصر واستماتتهم فى الدفاع عنها حتى ولو أحاطت بهم ظروف اضطهاد أو معاناة . وكانت مواقف البابوات المصريين فى مثل هذه الأزمات بمثابة رصيد جديد يضيفه الأقباط إلى تراثهم التربوى ليعمقوا به هذا التراث ، ويؤكدوا روح الوطنية الصميمة والاعتزاز بمصر فى نفوس النشء وهو تراث رأينا أنه يرجع إلى عهود مصر القديمة . ونأخذ بعض الأمثلة :

١ — أثناء بطريركية البابا يؤنس الثامن — على أواخر القرن الثامن عشر — سعى بابا روما إليه ليعترف برئاسته ، مقابل إعطائه ضمان الحماية . ومع أن

هذا العرض جاء معاصراً لأشد عهود الحكم العثمانى — المملوكى قسوة وفوضى إلا أن هذه الرسالة كان نصيبها الرفض التام .

٢ — الاقتراح نفسه جاء للبابا بطرس الجاولى ، فى عهد محمد على ، فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، لكنه هذه المرة كان من القيصر الروسى . ذلك أن روسيا كانت قد حصلت ، من السلطان العثمانى سليمان القانونى ، فى أوائل القرن السادس عشر ، على حق حماية الرعايا المسيحيين والكنائس المسيحية فى أنحاء الدولة . لكن موقف البابا بطرس من عرض القنصل الروسى كانت عبارة رددتها الآفاق « إننا فى حمى ملك لايموت ، فاترك عنك أى طلب للحماية فهو مرفوض رفضاً باتاً » .

٣ — أما الموقف الثالث ، من هذه المواقف الوطنية الأثيلة ، فكان على عهد البابا كيرلس الخامس ، فى أوائل القرن العشرين ، حين عرض عليه اللنبى أن تتبع الكنيسة القبطية كنيسة انجلترا فرفض هو الآخر هذا الطلب بالرغم من أنه مقدم من « المندوب السامى » لأعتى الامبراطوريات الاستعمارية الطاغية وقتئذاك .

والمتأمل فى الصلوات القبطية ، ونظم العبادة ، ونوعية الاتجاه نحو الطبيعة المصرية ، والنيل ، والأرض ، ومواسم الزراعة ، والحاكم ، والجند ، والوزراء ، يشعر فعلا أن وراءها فكراً أصيلا فى ربط القبطى بأرضه وبلده وقومه مما يجعله ، وبغير اصطناع أو تظاهر ، يتمسك تمسكاً حقيقياً ووثيقاً بها جميعاً فقد كانت هذه الصلوات ضمن مناهج التعليم فى الكتاتيب القبطية . أما الموسيقى والألحان القبطية فهى امتداد طبيعى للألحان والتراتيل التى كانت تستخدم فى معابد مصر القديمة .

وتدل الوثائق ، كما ذكرنا ، على أن الأقباط حرموا من التعليم الحكومى فى عهد محمد على فقد كان طلبة مدارسه جميعاً من خريجى الأزهر ، وكذلك مبعوثوه إلى الخارج . من هنا كان للكتاتيب دورها الهام والمصيرى فى توجيه حياة الأقباط سواء فى مجال خدمة بلادهم أو كنيستهم . ولقد نجحت تماماً فى

تحقيق رسالتها فخرج منها مساحو الأرض ، والمحاسبون البارعون فى عمل موازنة أموال كبار التجار ، أجانب ومصريين وغيرهم ، وكان أن اشتهروا بذلك ، لأمانتهم ودقتهم ، فارتفع شأنهم حتى شهد لهم عبد الرحمن الجبرتى فكان حين يريد أن يصف عظم ثروة أحد المماليك أو الأعيان يقول عنه : « وارتفعت مكانته ، وازدادت ثروته ، حتى لقد استخدم الأقباط » .

ومن أقوى الأدلة على نجاح نظام التعليم القبطى فى هذه الحقبة ظهور عدد كبير من الكبراء منهم مثل المعلم رزق فى عهد على بك الكبير — أواسط القرن الثامن عشر — والمعلم رزق ، وابراهيم الجوهرى ، وشقيقه جرجس ، والمعلم إلياس بقطر وغبريال سيداروس ؛ فى أواخر القرن نفسه ، والمعلمين أنطون أبو طاقية وملطى ، وشكر الله جرجس : فى عهد الحملة الفرنسية فى فاتحة القرن التاسع عشر .

ولعل من أشهر الكتاتيب فى القاهرة ماأنشىء فى حارة النصارى بحى الأزبكية وحارة السقايين : وفيهما أقام البابا كيرلس الرابع مدارسه بعد ذلك فى أواسط القرن ١٩ ، ثم مناطق مصر القديمة ، والغورية ، والصاغة حيث كان يعمل الأقباط فى تجارة المنسوجات والصابون والعطارة والروائح والحلى . وكانت التجارة من أهم مصادر الرزق لأبناء الأقباط لإتقانهم العمليات الحسابية ، بل إنهم برعوا فى مسح الأراضى وقياسها وتجزيئها إلى حياض ، ومعرفة كسور الفدان ، وبالتالى حساب حجم محصولاتها ، ومايترتب على هذا الحجم من ضرائب ولذلك تولى الكثيرون منهم وظيفة ناظر عزبة ، وأيضاً وظيفة المباشر الذى يجمع الضرائب . ومن أبرز الأمثلة التى تثبت هذه الحقيقة المعلم غالى الذى كان كاتباً لمحمد الألفى بك فمسح عموم الأراضى ، وجزأها إلى بلاد ثم إلى حياض ، وإليه يعزى فضل وضع النظام الإدارى الذى بدأه محمد على مما جعله ينصبه كبيراً للمباشرين . كذلك كانوا موضع ثقة التجار الأجانب خاصة لإتقانهم اللغات الفرنسية والإيطالية ، فكانوا يشتغلون عندهم كصيارفة ، أو كتاب ؛ هذا بالإضافة إلى أن الكثيرين منهم كانوا يعملون فى التجارة الحرة مستقلين .

كتاتيب الأقاليم :

ولم يقتصر إنشاء الكتاتيب على العاصمة بل شمل الأقاليم والريف أيضاً . ونأخذ المنوفية مثلا : فى سنة ١٨٥٠ ، عرفت مليج(*) — إحدى مراكز هذه المحافظة — كتاب المعلم حنين الذى كان يختار بعض الأولاد المتفوقين لمساعدته فى التعليم ، أما سنة ١٨٧٠ فعرفت كتاب ميخائيل نوار ، حتى إذا جاءت سنة ١٨٩٠ ، ونحن ننقل هذه المادة عن بعض من عاصروا كتاتيب هذا المعلم بالذات ، كان لواء التعليم لاثنين هما المعلم إسحق جرجس ، والمعلم صليب السنباطى . أما شكل الكتاب من الداخل فهو غرفة ، تختلف ضيقاً أو اتساعاً ، وفقاً للظروف ؛ وبها بعض الحصر ، أو الدكك ، يجلس عليها التلاميذ مزدحمين بجلاليبهم ، وشباشبهم ؛ أما أجر تعليم الصبى ، الذى لم تكن ثمة حدود لسن التحاقه ؛ فيتراوح بين الخمسة والعشرة قروش شهرياً . وكانت أدوات التعليم عبارة عن لوح من الاردواز أو الصفيح أو كراسة وقلم . فإذا انتهى الصبى من دراسته بعد سنوات غير محدودة العدد حصل المعلم على مكافأة مجزية : جنيه كامل من الذهب . على أن الكتاب ، وإن أدى رسالة هامة إلا أنه تميز بسيطرة الوجدان الدينى ، وبعده عن تكوين الشخصية ، وإلحاحه على الحفظ والتلقين وحشو الذهن ، بالإضافة إلى قسوة العقوبة التى توقع على العاجزين من الصبيان عن حفظ مايلقنه لهم المعلم أو العريف ، وكثيراً ماشجع الوالدون هذا العريف على المزيد من القسوة من العقاب مزيداً من الغيرة على تقدم أولادهم وإتقانهم للدروس . والطريقة نفسها كانت تتبع معهم إذا نزلوا الماء للاستحمام فقد كان العريف يختم ساق الطفل بنوع من الحبر الأسود أو الكوبيا حتى إذا نزل الماء فُمحى هذا الخاتم تعرض لأشد أنواع العقوبة .

ومن مظاهر الحياة فى بعض الكتاتيب — كما شهد بعض أصحاب الترجمات والسير الذاتية — أنها كانت تضم بعض البنات الفقيرات الكفيفات اللاتى يتعلمن تلاوة القرآن للتكسب بها . أما الأطفال الذكور فكثيراً ماكانوا يستأجرون ليسيروا أمام نعوش الموتى يرتلون بعض المحفوظات التى يحفظونها .

* هذه المعلومات أرسلها لى الاستاذ نبيل أسعد من مليج وهو أحد خريجى كلية التربية بجامعة المنوفية .

وبعض العائلات كانت تبعث بأولادها إلى أحد الشيوخ ليتعلموا الدين والنحو والصرف . وينسحب هذا على العائلات المسلمة والمسيحية على السواء . ولذلك فإن الكثيرين من أبناء العائلات القبطية كانوا يجيدون اللغة العربية ، بل إن بعض الشباب — مثل فرنسيس العتر — كانوا يذهبون إلى الأزهر لتعلم العربية ومعروف أن هذا الشاب وصل إلى منصب تدريس اللغة بالمدارس الأجنبية ، وفى الوقت نفسه كان رئيس شمامسة بالكنيسة البطرسية التى تقع بأرض الأنبا رويس بالعباسية وتميز بإجادته التامة لتشكيل القراءات الكنسية والإنجيلية وأصبحت له مدرسة خاصة من تلاميذه اختصت بها هذه الكنيسة. (ويروى أحد الآباء الكهنة (القمص يوسف ببور فؤاد) أنه زامل الشيخ متولى الشعراوى ، داعية الإسلام ، منذ طفولتهما بأحد الكتاتيب الإسلامية ببلدة سنباط . فى الجانب المقابل لم يخل الأمر من التحاق بعض أبناء العائلات الإسلامية بالكتاتيب القبطية لتعلم اللغة والحساب ، فربما خلت بعض القرى من كتاب إسلامى . على أنه فى المدن كان كثيرون من الأغنياء يؤسسون فى مساجدها مدارس على مثال الأزهر ، يأتون لها بأساتذة من خريجى الأزهر يدرسون لمن لم تمكنهم ظروف الحياة من التزوح إلى القاهرة طلباً للعلم . وكذلك أغنياء الأقباط كثيراً ماأسسوا الكتاتيب الملحقة بالكنائس فى قراهم أو المراكز المقيمين بها ، وكان بعض خريجى هذه الكتاتيب يتابع تعليمه الدينى بعد ذلك بالمدرسة الإكليريكية ؛ لكن ذلك لم يكن قبل فاتحة القرن العشرين حين أصبح لهذه المدرسة مكانها المعروف بأحد أحياء القاهرة وهو مهمشة ، وأصبحت بها أيضاً هيئة تدريس تستطيع القيام بمهمة إعداد الكاهن الذى كادت بعض العائلات القبطية — فى تلك الحقبة — أن تكون هذه الخدمة حكراً عليها يتسلمها الابن عن الأب عن الجد سواء التحق بالإكليريكية أو لم يلتحق . وقد يعود الطالب الأزهرى أو الإكليريكى إلى بلده فيعمل بمسجدها أو بكنيستها والكتاب الملحق بها : وقد لايكون قد أتم دراسته ، أو انقطع فى إحدى مراحلها ، لسبب ما . لكن ذلك لم يمنع من اندساس بعض غير الأكفاء إلى صف معلمى الكتاتيب وهم أبعد مايكونون عن

الصلاحية للقيام بعمل التعليم . على أنه بعد تخمر فكرة التعليم الحديث فى مصر ، فى أعقاب خروج الفرنسيين سنة ١٨٠١ ، لم يعد منح الإجازة ، وخاصة فى الأزهر ، شيئاً سهل المنال فلم تكن تمنح إلا للقادر على الفهم والاضطلاع بمسئولية التدريس . أما الإكليريكية فقد أصبحت هى الأخرى ولها امتحاناتها وشهادتها التى أخذت بالتدريج مكانتها بين أساقفة الإيبارشيات .

ونأخذ ترجمة حياة إحدى الشخصيات الكبرى فى هذه الحقبة : الايغومينوس فيلوثيئوس إبراهيم ، الراعى والمعلم الذى كان نقطة التحول فى الكنيسة القبطية فى أواخر القرن التاسع عشر بما قام به من جهود تعليمية . وفى تأسيس المدرسة الإكليريكية حيث تتلمذ عليه حبيب جرجس الذى يعتبر المؤسس الحقيقى للنهضة الإكليريكية ، وكذلك فى إنشاء نواة المدارس القبطية بطنطا . ولد بطنطا من أبوين تقيين سنة ١٨٣٧ . وأبوه هو المعلم إبراهيم بغدادى صالح من وجوه طنطا ، وأمه مريم من عائلة النجارين بسبرباى . تربى ، كما كان يتربى بنو الأقباط فى ذلك العهد ، فى الكتاتيب الأهلية ، عند معلم كفيف البصر ؛ فتعلم القراءة والكتابة ، وبعض مبادئ الحساب كالقواعد الأصلية مع العلامات المعروفة للدلالة على كسور الفدان لإمكان الاشتغال فى مصالح الحكومة أو فى المحلات التجارية . كذلك حفظ المزامير غيباً ، وتعلم اللغة القبطية ، والألحان الكنائسية فأهله ذلك للخدمة شماساً بالكنيسة ، وهكذا ، كما يقول كاتب السيرة جرجس فيلوثاؤس عوض ، زوج كريمته ، كانت العادة الجارية فى ذلك الحين .

ولقد اشتهر المجتهدون من أبناء الأقباط بقدرتهم على التثقيف الذاتى . فالقمص فيلوثيئوس مثلا تمكن من تعلم اللغة الإيطالية التى كانت فى وقته أشهر اللغات إنتشاراً . وقد تعلمها قراءة وكتابة بواسطة الكتبة الفرنج الموجودين معه فى المحل ثم أخذ يرتقى متدرجاً فيها إلى أن تمكن من استخدامها فى كل مايختص بالأمور التجارية .

ومن الأساتذة الذين تتلمذ عليهم القمص فيلوثيئوس إبراهيم : عريان مفتاح الذى كان عالماً متبحراً فى اللغتين القبطية والعربية ، وقد ألف كتاباً

فى القواعد القبطية مترجمة بالعربية فقد وضع الجمل والحوار بها . ويعتبر هذا الأستاذ أول معلم قام بتعليم اللغة القبطية وقواعدها فى المدارس القبطية خلال القرن ١٩ ، وبالذات فى مدارس البابا كيرلس الرابع . ونظراً لعدم وجود مدارس بطنطا فقد التحق القمص فيلوثيئوس فى شبابه بالمدرسة القبطية الكبرى بالأزبكية فتتلمذ على هذا المعلم العظيم وعنه تسلم اللغة القبطية ودقائق قواعدها حتى نبغ فيها وتقدم تقدماً كبيراً . وبالرغم من أنه اشتغل بأحد المحلات التجارية بطنطا كاتباً ثم كاتب أول إلا أنه واصل باجتهاده ومثابرته على الدرس والتحصيل حتى أهل لأن يعين مدرساً للغة القبطية بالمدرسة الابتدائية بحارة السقايين وفيها وضع محاورات كثيرة تقوم على السؤال والجواب . ويستدل من ذلك ، سواء من سيرة عريان مفتاح أو القمص فيلوثيئوس على حقيقتين هامتين : الأولى : أن أغلب العائلات القبطية كانت تملك مكتبات غنية بالمخطوطات القديمة التى كان يتناقلها الأبناء عن الآباء ويتتلمذون عليها ويتثقفون ذاتياً ويتمكنوا من مختلف اللغات والعلوم الدينية . أما الحقيقة الثانية فهى أن معلمى تلك الفترة لم يكونوا معلمين فقط وإنما كانوا مؤلفين أيضاً يملكون المادة والطريقة جميعاً .

وعلى نموذج ونمط سيرة القمص فيلوثيئوس ، فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، نجد سيرة البابا كيرلس الرابع الذى نشأ فى الكتاب الملحق بالكنيسة فى قريته الصوامعة الشرقية بمركز اخميم ، وسيرة المؤرخ والمعلم يعقوب نخلة روفيلة الذى كان أستاذاً للغتين الانجليزية والإيطالية وعين مدرساً بمدرسة السقائين فنبغ على يديه كثير ممن ارتقوا بعد تخرجهم الكثير من الوظائف .

ومن أصحاب السير الهامة الجديرة بالتسجيل سيرة مرقس بك يوسف الحبشى ، كما ذكرها مؤلف كتاب حياة الايغومانس فيلوثاؤس إبراهيم ؛ فقد ولد مرقس فى البتانون سنة ١٨٢٩ وتعلم القراءة البسيطة فى كتاب بطنطا وذلك عندما كان فى الرابعة من عمره . فلما نما أخذ يتعلم ، كأبناء جيله ، العربية والقبطية ، إلى أن صار يافعاً فعين بشون فيشا ، ثم تمكن بسرعة من

تقلد رئاسة حساباتها ، ثم نقل كاتب ثانى تحريرات العهدة سنة ١٨٤٢ وعمره لايزيد عن ١٤ سنة . وخلال عمله واصل دراسة اللغة العربية (على أصولها) — والتعبير أذكره كما أورده المؤلف — فتعلم القواعد النحوية على مشائخ الجامع الأحمدى وتابع تطوره الوظيفى حتى وصل سنة ١٨٧٥ إلى وظيفة باشكاتب مديرية الغربية العالية وجدير بالذكر أن هذا المعلم أتقن اللغتين الفرنسية والقبطية باجتهاده الشخصى ثم خدم بالمطبعة الأميرية فتدرب على أعمالها حتى صار ذا خبرة تامة بأعمال المطابع فلما أنشئت مطبعة التوفيق كان لها الرئيس المدرب لعمالها والمنظم لإدارتها .

هكذا نرى أن الأقباط أسهموا إسهاماً كبيراً فى التقدم الثقافى فى مصر ، سواء من خلال مدارسهم ، أو بواسطة مكتباتهم الخاصة بالمنازل ، وعصاميتهم فى الإفادة منها . وكان طبيعياً أن تسير التلمذة الخاصة على المعلمين المقتدرين . جنباً إلى جنب مع وجود الكتاتيب ، ومع توافر المكتبات المنزلية . لذلك بقى التعليم فى محيطهم سائراً بقوة الدفع فى عهدى عباس وسعيد اللذين تميزا بإغلاق البقية الباقية من المدارس الحكومية التى كان قد أنشأها محمد على . على أن عهد عباس ، نسبياً ، ظل يتميز بوجود المدرسة المفروزة التى سمح للالتحاق بها لأبناء الأتراك فقط دون المصريين ؛ أما عهد سعيد فقد انطفأ فيه نور التعليم كلية : ذلك أنه صاحب القول « إن الأمة الجاهلة أسلس قياداً من الأمة المتعلمة » فلم تكد تأت نهاية سنة ١٨٥٤ حتى كان قد صفى مابقى من المفروزة ، وديوان المدارس ومدرسة المبتديان التى كان عباس قد أسسها بالخرطوم لينفى إليها رافع الطهطاوى ، ولم يبق سوى الكتاتيب التى كان بعض خريجها يلتحق بالأزهر . أما فى المحيط القبطى فقد برز كيرلس الرابع نوراً وسط الظلام ، وأسس مدارسه ، كما سيأتى الذكر ، وسمح لكل أبناء المصريين دون تمييز بين دين ودين ، بالالتحاق بها فكانت بمثابة مرساة النجاة للبلد الذى غرق فى دياجير الجهل والأمية .

جهـــود البابا كيرلس الرابع التعليمية والاجتماعيـة

يعتبر الأقباط البابا كيرلس الرابع أباً للإصلاح فى المحيط القبطى لما تميز به من جرأة وإقدام فى إنشاء المدارس . وتعهد النشء بالتربية الدينية والعلمية على أيدى أفضل الأساتذة وأمهرهم فكان أن قدم للبلاد والكنيسة خير الرجال وأكرم السيدات . أما المدارس التى أنشأها فهى :

١ — المدرسة البطريركية بالأزبكية : وقد بدأ إنشاؤها سنة ١٨٥٣ وافتتحت سنة ١٨٥٥ .

٢ — مدرسة البنات الابتدائية بالأزبكية .

٣ — مدرسة البنين الابتدائية بحارة السقائين .

٤ — مدرسة البنات الابتدائية بحارة السقائين .

ومن المعروف أن كلا من حى الأزبكية وحارة السقائين تميز بأنه يضم العديد من العائلات القبطية . وإذا كان طلبة المدرسة الأولى لم يتعدوا فى البداية ١٥٠ تلميذاً فإن عددهم تعدى الاربعمائة بعد عشرين سنة . وكانت مع بقية المدارس تضم أمهر الأساتذة من مصريين وأجانب . كما كان بها قسم داخلى يضم التلاميذ المتغربين تشجيعاً لهم على الالتحاق بمدارسه . وكذلك مدارس البنات التى أنشأها سواء بالأزبكية أو بحارة السقائين كان بها أفضل المعلمات الموجودات فى ذلك العصر كما كان بها قسم داخلى أيضاً .

ويؤكد هذا السبق الفكرى والاجتماعى الذى حققه هذا البابا المصلح فى إخراج البنت من سجنها وإعدادها تربوياً ونفسياً لتصبح زوجة فاضلة واما مسئولة وهكذا وضع هذا الراعى بذار تحرير المجتمع من التخلف ومما قيل فى هذا الصدد إنه كان يبعث بناظرة مدرسة حارة السقائين لاقناع العائلات بإرسال بناتها إلى المدرسة مما يدلنا على أنه كان صاحب رسالة وأنه كان مقتنعاً بها كل الاقتناع .

ومن المأثور عن هذا البابا حبه للتعلم والتعليم ، على السواء ، منذ أن كان

مدبراً لدير القديس الأنبا أنطونيوس بالصحراء الشرقية : فعن حبه للتعلم نعرف أنه اعتنى بنفسه فى تعلم اللغة العربية وقواعدها النحوية والصرفية . كما أقام بالدير مدرسة ومكتبة لتثقيف الرهبان ، وأنشأ مدرسة بالعزبة التابعة للدير بقرية بوش ، لتعليم النشء وتهذيبه . وكان هذا فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر . فلما صار بطريركاً سنة ١٨٥٤ واصل اهتمامه بالتعليم بل وزاد بأن أولى مكتبات الأديرة اهتمامه الكبير فعين لكل منها أميناً وحتم عليه أن يمسك سجلا بمحتوياتها . كما جعل اهتمامه باللغة القبطية عملياً فألف لجنة لتضع كتاباً لتدريسها وأمر بإدخالها مادة أساسية ضمن مناهج المدارس القبطية . ولكى تصل مدارسه إلى أفضل وضع كان يستضيف دائماً خبراء الأجانب ليعرف رأيهم ويستمع إلى نقدهم . هذا بالإضافة إلى أنه لم يميز فى قبوله لتلاميذ مدارسة بين دين وآخر ، أو بين عقيدة وأخرى ، بل قبلهم من كافة المذاهب ، وكان يوزع عليهم الأدوات مجاناً . وزاد بأن أعد لهم معلماً خاصاً يسلمهم الألحان ، وكاهناً يقوم على رعايتهم روحياً وتقبل اعترافاتهم . كما جعل من حضورهم للقداس أمراً أساسياً بل وأعد لفريق الشمامسة منهم زياً خاصاً يلبسونه أثناء الخدمة بالكنيسة . وحين كان يرى عدد التلاميذ بإحدى مدارسه قليلا كان يبعث بالمعلمين ، بل وبالناظرة ، إلى العائلات لحثها على إرسال أولادها وبناتها إليها . بل وكثيراً ما كان يحضر الدروس بنفسه مشجعاً تلاميذه ومعلميهم بنفسه .

وكانت المواد الدراسية بمدارسه : أولا — اللغـــات القبطية والعربية والفرنسية والإنجليزية والتركية .

ثانياً : الرياضيات .

ثالثاً : الجغرافيا .

رابعاً : العـــلوم .

وقد نجح الكثيرون من خريجى مدارسه فى الالتحاق بالمدارس الفنية العليا فى عهد إسماعيل ، وكان أن نجحوا فى تولى أكبر المناصب الحكومية مما حفز

إسماعيل على وقف ١٥٠٠ فدان من أراضى تفتيش الوادى بالشرقية لينفق من ريعها على المدارس القبطية ؛ وكان ذلك فى عهد البابا الذى جاء بعده : وهو البابا ديمتريوس . كذلك أصدر أمره بأن يمتحن تلاميذ المدارس القبطية بعد الأميرية أمام لجنة حكومية من كبار العلماء يرأسها إسماعيل باشا الفلكى كما ترسل الحكومة عدا الموسيقى كل لوازم الاحتفال والخدم . ولاغرو فقد ضمت مدارسه أشهر الأساتذة الذين لم يكونوا ماهرين فقط فى موادهم ولغاتهم بل وكذلك فى طرق تدريسها وتأليف الكتب فيها : مثل عريان مفتاح الذى كتب فى قواعد اللغة القبطية مترجمة بالعربية بطريقة وضع الجمل وتأليف الحوار . وكذلك تلميذه القمص فيلوثيئوس إبراهيم الذى ألف محاورات كثيرة بالقبطية بطريقة السؤال والجواب .

وتشجيعاً على نشر الثقافة بين شعبه عمل على استحضار مطبعة من الخارج واستصدر أمراً من الوالى سعيد بإلحاق أربعة من شباب الأقباط بمطبعة بولاق الأميرية لتعليمهم فن الطباعة فكان بذلك سابقاً لعصره إذ استبدل نسخ الكتب باليد ، بأعدادها القليلة ، إلى طبعها ونشرها بأعداد كثيرة ، وفى الوقت نفسه ضمن تجنب الأخطاء اللغوية فى الكتب التى يتبادلها الشعب .

أما من الناحية الاجتماعية فقد حدد سن زواج الفتاة بحيث لايقل عن ١٦ سنة ، كما أمر بتخصيص عقود للزواج توثق ليس فى دفاتر خاصة ، منعاً للتلاعب ، وبذلك صان الأسر من العبث . فإذا أضفنا إلى ذلك اهتمامه بتعليم البنت ، وهى أم الأجيال المستقبلة ، وضح تأثيره ليس فى نقل الأقباط فقط إلى الفكر الاجتماعى الحديث ، بل مصر كلها ، لأنه كان يقبل البنات جميعاً دون أية تفرقة أو تمييز بين دين ودين .

لذلك يعتبر هذا البابا العظيم من أشهر المصلحين الذين أثروا تأثيراً بارزاً فى حياة الأقباط الفكرية والاجتماعية عامة ، وفى وضعهم جزءاً حياً من كيان مصر ، وقطعة غير منفصلة من نسيج الشعب المصرى .

أحوال التعليم عند الأقباط فى الفترة من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٩٢٤
أى منذ بداية عهد إسماعيل حتى إعلان قيام الدولة المصرية

حين تولى إسماعيل حكم مصر سنة ١٨٦٣ كانت مصر قد قطعت من تاريخها الحديث فترة تصل إلى نحو ثلثى قرن مرت خلالها بثلاثة عهود كبيرة : عهد الحملة الفرنسية التى بذرت بذار الحضارة الغربية ، وعهد محمد على الذى أنشأ المدارس للنهوض بالجيش وإعداد الموظفين اللازمين لإدارة حكومته المركزية ، ثم عهدا عباس وسعيد وهما فترة نكسة للتعليم عامة باستثناء جهود البابا كيرلس الرابع فيما بين سنة ١٨٥٤ ، سنة ١٨٦١ . هذه العهود كان لابد أن تترك تراثاً تعليمياً محدد المعالم فماذا كانت أهم هذه المعالم ؟

١ — طابع الثنائية : فالاهتمام بتعليم الولد دون البنت ، والمدرسة تنشأ بالمدينة أما القرية فليس بها سوى الكتاتيب . وأبناء القادرين فقط هم الذين يلحقون بالمدارس دون الفقراء وهم الغالبية الذين لم تكن أمامهم سوى الكتاتيب ، وقد ذكر الجبرتى أن « الأغنياء كانوا ينشئونها لتعليم الأيتام من المسلمين » . أما المسيحيون فكانت كتاتيبهم ملحقة بالكنائس . وهكذا وضحت التفرقة الثقافية والطبقية والاجتماعية بين الشعب الواحد .

٢ — الهدف الرئيسى للتعليم الحصول على الوظيفة الحكومية أو الأميرية .

٣ — المدرسة أقرب للثكنة العسكرية ، والمعاملة فيها معاملة تتسم بالقهر والقسوة .

٤ — أسلوب التعليم هو التلقين مما كان أثراً مباشراً للأسلوب السائد فى التعليم الأزهرى .

٥ — سيطرة المركزية على إدارة وتنظيم التعليم .

فلما ولى البابا كيرلس الرابع البطريركية وقام بإنشاء مدارسه وضح الفارق بينها وبين المدارس الحكومية فيما يلى :

(أ) سمح بالتعليم لكل فئات الشعب إذ كان التعليم مجانياً .

(ب) اهتم بتعليم البنت .

(ج) أولى الريف اهتمامه حين أنشأ مدرسة فى بوش .

(د) غير أسلوب المعاملة وخلصها من روح العسكرية والعنف .

(هـ) اختار أكفأ المدرسين والمديرين .

فلما تولى إسماعيل وجد أن خريجى هذه المدارس أكفأ لأن يملأوا وظائف الحكومة ، فضلا عن أنها كانت قلعة القومية المصرية إزاء مدارس الإرساليات الأجنبية فماذا كان موقفه منها ؟

١ — أنعم عليها بألف وخمسمائة فدان من وقف الوادى بالشرقية لينفق عليها من ريعها .

٢ — أصبحت امتحاناتها تحت إشراف لجنة حكومية ومعنى ذلك اعتماد شهادتها ، وأهلية خريجها للالتحاق بالوظائف الحكومية .

٣ — شجع البابا ديمتريوس الثانى ، الذى ولى البطريركية بعد البابا كيرلس الرابع ، على القيام بجولة فى محافظات الصعيد لرد أبناء الكنيسة القبطية الذين التحقوا بمدارس الإرساليات الأجنبية وذلك حفاظاً على الوحدة القومية وصوناً لها من الانفصام ، فصحب البابا القمص فيلوثاوس إبراهيم وحققت الجولة أغراضها وخاصة فى أسيوط مركز الإرسالية الأمريكية وقد قضيا بها ٤٥ يوماً كاملة .

ومن أشهر الشخصيات القبطية التى نقرأ عن أصحابها والوظائف الكبرى التى تولوها فى فترة عهد إسماعيل : عزمى بك رئيس الديوان الخديوى ، جرجس الفيشاوى سكرتير الديوان ، إبراهيم روفائيل الطوخى الذى تولى رئيساً لإدارة السودان لمدة عشر سنوات ، ميخائيل بك شاروبيم وكان سكرتيراً لاسماعيل باشا صديق المعروف بالمفتش ، ونسيم بك شحاتة وقد شغل منصب كبير كتاب مصلحة السكك الحديدية ، بل إن إسماعيل اختار

بعض كبار الأقباط مديرين فى الأقاليم مثل جرجس بك وصفى ، وعوض بك سرور : وكان الأول مديراً للمنوفية والثانى مديراً للقليوبية .

وبمتابعة عهد إسماعيل ، وموقع التعليم من اهتمامه ، ثم مكانة الأقباط فى هذا الموقع ، نلتقى بأول اجتماع لمجلس شورى النواب الذى أنشأه إسماعيل سنة ١٨٦٦ حيث دارت مناقشة هامة حول إنشاء مكاتب للتعليم . ولما لهذه المناقشة من أهمية خاصة سواء من ناحية موضوعها أو من ناحية نتائجها فنحن نلخصها فى إيجاز عن الوثيقة التى سجلت بها والتى عثرنا عليها بمكتبة مجلس الشعب المصرى . تقول هذه الوثيقة :

فى جلسة مجلس شورى النواب بتاريخ ٢٦ رجب سنة ١٢٨٣ هـ — سنة ١٨٦٦ م — قدم إتربى بك أبو العز أحد نواب الغربية مشروع « إيجاد مكاتب لتعليم الأهالى القراية والكتابة » وقدناقش أعضاء المجلس هذا المشروع وقال النائب عبد الفتاح يوسف « إن إنشاء المكاتب ليس فقط من الأمور الخيرية لكن يترتب عليه تعليم وتمدن أبناء الوطن » . ولما وصلت المناقشة بالنواب إلى موضوع التربية الدينية بهذه المكاتب اقترح محمد حمودة بأن تقوم هذه المدارس بتعليم القرآن والكتابة والألسن (أى اللغات) . وهنا أكمل النائب ميخائيل أثناسيوس الاقتراح قائلا « إن فتح المدارس هو للتعليم والتعلم ، والمعلوم أن قراية الأقباط غير قراية الإسلام فتعليم الأقباط يكون بمدارس مخصوصة تفتح بكل مديرية من طرف البطرخانة ويصرف عليها من أوقافها ، وإذا كانوا بعض الأقباط الأغنياء يتبرعوا بشئ فلا مانع » . وهكذا أكمل كل من الرأيين الرأى الآخر فى تجاوز واضح لمشكلة تباين الأديان . وجاء تعليق النائب محمد جمال الدين على هذا الكلام « إن المكاتب المقضى إنشاءها فهذه يدخل فيها كل من يرغب من إسلام وأقباط ، أما الأقباط فإذا كانوا مبتدئين فيكون لهم واحد قسيس مخصوص بالمدرسة لتعليم ديانتهم وبعد تعليم ذلك يكونوا فى عموم المدرسة » . ثم أكد النائب محمد الشواربى هذا الاتجاه بقوله « إن الأقباط ماخرجوا عن كونهم من أبناء الوطن ، ولذلك يجب أن يكونوا ضمن المدارس التى تعمل

بالمديريات ، ولايكونوا خارجين عنها متى أرادوا الدخول فيها » . بعد ذلك لخص النائب حسين هلال هاتين النقطتين فى عبارة واحدة بقوله « تفتح بكل مديرية مدرسة على حسب حالها بقدر معلوم من الأنفار (أى التلاميذ) ويكون من عموم الناس غنى وفقير ، وإسلام وأقباط ، إذ الكل على حد سوى فى المعاملات » .

.. وهكذا تجاوز فكر الثلث الأخير من القرن التاسع عشر الفروق الطبقية والقومية وحقق المساواة بين أبناء الوطن الواحد دون نظر إلى تباين الوضع الاجتماعى أو اختلاف الدين .

وفى الجلسة الأخيرة فى هذه الدورة حضر سعادة شريف باشا (وكان وقتها رئيساً لمجلس النظار) وتحدث مع النواب عن موافقة الحكومة على « الأفكار السديدة والآراء المتمدنة التى احتوت عليها الشورى ، كما أوضح أن العلوم والفنون يشرفون حامليها » ثم أشار إلى أن « موضوع المساواة فى الدخول بين الجميع فقرا وأغنيا ، إسلام وأقباط ، كل هذا يطابق رأى الحكومة السنية ويستحسن لديها لأن تلك الأصول متبعة فى المدارس المؤسسة الآن وصادر فى حقها أوامر كريمة وموافق لديها أيضاً تجويز دخول القسس فى تلك المدارس لتعليم الأمور الدينية لأولاد الأقباط » ثم أضاف « إن الاعتراض فى الأمور الدينية مغاير للعدل والإنصاف » ونتيجة لهذه المناقشات صدر بعد ذلك قانون ٧ نوفمبر سنة ١٨٦٧ وهو الذى عرف فيما بعد بلائحة رجب سنة ١٢٨٤ هـ وقد صدرت فى أربعين مادة نظمت أحوال التعليم بوجه عام إلى مراحل ثلاث : ابتدائى ، تجهيزى ، عالى ؛ وإن كان هذا التنظيم لم ينفذ كما كان مقدراً له لتعثر الأحوال الاقتصادية فى عهد إسماعيل الأمر الذى أدى فى النهاية إلى عزله سنة ١٨٧٩ . وكان أن واصلت الكتاتيب القبطية عملها وخاصة فى المراكز والقرى . ومن اتصالنا ببعض المعمرين ببندر شبين الكوم ، وبلدة مليج ، ونأخذ الكتاتيب بهما على سبيل المثال ، نرى أن خطة التعليم كانت تسير على النحو الآتى :

كتاتيب القرن التاسع عشر :

الكتاب ملحق بالكنيسة فى المكان المعروف بالإيوان ، المدرس هو معلم الكنيسة ، التلاميذ يقبلون دون تحديد السن الذى يتراوح عادة بين ٧ ، ١٢ سنة . المنهج يتكون من القراءة والكتابة ، العمليات الحسابية ، وكانت لها أهمية خاصة فى مجال التعليم القبطى إذ كانت تعد الأولاد الأقباط للعمل كتبة فى المحلات التجارية ، أو نظار زراعة فكانوا يتعلمون حساب المكاييل والمقاييس وهذه كانت تؤهلهم أيضاً للعمل عند قبانى القرية . وبالإضافة إلى أدوات المعرفة هذه يتعلمون الألحان الكنسية ويحفظون المزامير وبعض فصول الإنجيل للخدمة بالكنيسة كشمامسة . على أن الكتاب كان يحقق للوالدين أيضاً شغل أولادهم وتخليصهم من الفراغ ، ولذلك كانوا يعطون المعلم فى نهاية السنة مكافأة مجزية نقدية وعينية . أما أجر التعليم فى الشهر فكان يتراوح بين خمسة وعشرة قروش . وداخل الكتاب كان التلاميذ يجلسون على الحصير وأحياناً على دكك خشبية ، ويستخدمون ألواح الصفيح أو الاردواز ، ويرتدون الجلابية والقبقاب . وقد يكون البعض منهم حفاة . وقد يتبع المعلم معهم أسلوب المنافسة فيجعل التلميذ القوى منهم مساعداً للضعيف الذى قد يناله أحياناً من عقاب « الفلقة » ، يحفزه على الاجتهاد تجنباً للعقاب . أما مواعيد الدراسة فمن الثامنة صباحاً إلى الثانية عشرة ، ثم فترة راحة للغداء ، تليها فترة دراسة من الواحدة حتى الرابعة . وجدير بالذكر أن الكتاب كان يضم التلميذات مع التلاميذ ، كما وجدت بعض كتاتيب لتعليم المكفوفين ليؤهلوا للعمل كعرفاء بالكنائس . أما العطلة الأسبوعية فمن بعد ظهر السبت حتى صباح الاثنين .

وبمرور الوقت أخذت الحكومة تنشئ بعض المدارس الابتدائية فى عواصم المديريات ، وشاركت العائلات القبطية ، الموسرة ، الدولة فى ذلك ؛ فظهرت المدرسة النظامية ، لكنها كانت باهظة التكلفة الأمر الذى لم يكن ليتيسر لمعظم الشعب إلحاق أبنائهم بها . وكانت مدة الدراسة بها أربع سنوات ولكل سنة منها مناهجها الخاصة ، والمتدرجة ، والامتحانات فيها ، فى

آخر العام ، تحريرية وشفاهية ، فلما جاء الاحتلال سنة ١٨٨٢ أضيفت اللغة الإنجليزية . ومنذ سنة ١٩١٣ أصبحت هذه المدارس تابعة لإشراف وتفتيش مجالس المديريات . وبذلك استجدت رقابة الدولة عليها . ثم وضعت لائحة إعانات لها . على أن أحوال التعليم ، منذ عهد إسماعيل ، كانت تعكس ماتعانيه الإدارة الحكومية عامة من تعقيد : إذ كان جزء من الميزانية يصرف من ميزانية الدولة العامة . والبعض الآخر من الميزانية الخاصة بالمدارس المركزية . أو من ديوان الأوقاف . ومع ذلك فحتى هذه ماكانت تؤدى بانتظام . وكان طبيعياً أن تؤدى هذه الظروف إلى تهيئة السبيل لقيام المدارس الأهلية إسلامية وقبطية ، وإقبال الشعب عليها مما شجع مؤسسيها ، سواء من رجال الكنيسة . أو من الجمعيات التى تتابع تأسيسها قرب نهاية القرن ، أو من المجالس المحلية . أو من العائلات المقتدرة ؛ على تخفيف المصروفات بل ورفعها عن نسبة كبيرة من التلاميذ . هذا فضلا عن فتح مدارس البنات والإسهام بذلك فى تعليم نصف المجتمع دون أية تفرقة بسبب الدين أو العقيدة . هذا عن الأقاليم ، أما فى القاهرة فقد أنشئ بمدرسة الأقباط قسمها الثانوى سنة ١٨٧٨ .

كيف أسهم الأقباط فى تطوير الثقافة والتعليم بعد عصر إسماعيل

أخذ إسهام الأقباط فى تطوير الثقافة والتعليم فى مصر ، بعد عزل إسماعيل سنة ١٨٧٩ وحتى سنة ١٩٢٤ ، أشكال ثلاثة :

الأول :

الشكل التعليمى العام : بتأسيس المدارس العامة ، والفنية الصناعية ، وانتقاء القائمين عليها من مديرين ومدرسات ومدرسين ، ممن كان لهم جميعاً أكبر الفضل فى الدفع بالحركة التعليمية إلى الأمام بالإضافة إلى الاهتمام بالتربية الدينية .

الثانى :

الشكل التعليمى الدينى الخاص : بإنشاء المدرسة الإكليريكية سنة ١٨٩٣ وبدء حركة مدارس الأحد بالكنائس والجمعيات ، وإنشاء مدرسة الرهبان

اللاهوتية بحلوان ؛ فى أوائل القرن العشرين ، ثم إصدار العديد من المجلات الدينية الخاصة .

الثالث :

الشكل الثقافى العام : بإنشاء الصحف ، وبالإسهام فى إنشاء الجامعة الأهلية ، فضلا عن المشاركة فى حركة التأليف والترجمة والنشر ، وهى الحركة التى اقترنت بإحضار المطابع من أوربا ، وإقامة المعارض والمتاحف وفى مقدمتها المتحف القبطى بمصر القديمة ، وكذلك إنشاء المكتبات ، وإصدار التقاويم السنوية .

الرابع :

الشكل الاجتماعى : وقد أخذ عدة مظاهر :

(أ) تأسيس المجلس الملى العام والمجالس الفرعية لخدمة النواحى الاجتماعية والتعليمية .

(ب) إنشاء المؤسسات الخيرية ، متعددة الأغراض ، كالجمعيات والمشاغل ودور الإيواء الخيرية والمستشفيات .

(ج) إقامة النوادى التى كان لها أكبر الأثر فى جمع الكثير من المهتمين بالأحوال الاجتماعية وإتاحة الفرصة لهم لمناقشتها ؛ فضلا عن خدمة الشباب وتوجيههم التوجيه التربوى السليم .

(د) إقامة المعارض ، والأسواق الخيرية لخدمة أغراض البر .

وندرس كل عنصر من هذه العناصر دراسة تحليلية .

أولا : الشـكل التعليمى العـام

فى الوقت الذى كانت الدولة عاجزة عن نشر التعليم ، كانت الهيئات والجمعيات ، إسلامية ومسيحية ، هى التى تتولى الجانب الأكبر من هذه المهمة الخطيرة . يؤكد ذلك ماجاء فيما كتبه ممثلو الدولة الإنجليزية المحتلة ، وكذلك ماسجلته تقارير الجمعيات القائمة ، فى أواخر القرن التاسع عشر ، كتقرير جمعية الإصلاح التى عرفت فيما بعد باسم جمعية التوفيق . فلقد كتب اللورد دوفرين مثلا فى تقريره عن التعليم سنة ١٨٨٣ بأن المدارس الأولية التابعة للحكومة قبل الاحتلال وعددها ٥٣٧ كانت تضم ١٣٧,٥٥٣ تلميذاً هم عبارة عن ١ — ٤٠ من تعداد سكان مصر وهذا عدا طلاب المدارس التجهيزية والعالية . أما الآن ، والحديث فى سنة ١٨٨٣ بعد الاحتلال بعام ، فعدد التلاميذ الذين فى جميع مدارس الحكومة لايتجاوز ٣١,٤٥٢ أى بنسبة ٢,٥ ٪ . ولولا ماتقوم به مجالس المديريات والجمعيات الخيرية والأفراد من نشر التعليم لفتك الجهل بالأمة فتكاً ذريعاً . ذلك أن عدد التلاميذ الذين تضمهم هذه المعاهد الحرة يبلغ نحو نصف مليون .

فإذا أتينا إلى تقارير وزارة المعارف وجدناها تقول إن « جهود الأهالى فاقت جهود الدولة المحدودة الميزانية ، والمحدودة الإمكانيات ، وإن كانت المدارس الحرة قد رفعت مصروفاتها إلا أنها كانت تمنح الكثيرين ميزة المجانية » . وهكذا أصبحت المدارس التى تنشئها الهيئات القبطية والإسلامية هى المنهل الوحيد للتعليم الذى يصل إلى القلة من المصريين القادرين على اللحاق به مما جعل أغلب الأمة فى حالة يرثى لها من التخلف والجهل .

أما تقرير جمعية الإصلاح ، التى أصبحت بعد ذلك جمعية التوفيق القبطية ، فقد نظر إلى المشكلة من وجهة نظر أخرى ملخصها أنه بسبب العيوب الموجودة فى الكتاتيب الأهلية ، والمدارس الحرة ، « فقد سعى

أولادنا إلى الدخول فى المدارس الأجنبية مما يؤدى إلى اختلاف مشاربهم وأخلاقهم وعوائدهم بما يجعلهم — هكذا يقول التقرير — بمعزل عن الائتلاف واتحاد الكلمة فى المستقبل . هذا وإن معظم الطوائف تحاول الآن اجتذابنا بل ابتلاعنا بما تستخدم لذلك من الوسائل كالمدارس ، والنوادى ، والجمعيات وغيرها ؛ فإذا أطلنا الرقاد على مهاد الغفلة وتركنا أولادنا بأيدى العاملين على زوال وحدتنا كنا المساعدين على نكايتنا بأنفسنا » . ولقد اتبع التقرير الذى صدر سنة ١٨٩١ هذا التحذير بإيراد إحصائية مقارنة بين عدد تلاميذ مدارسنا القبطية الذى بلغ ٩٦١ منهم ٤١٠ معافون من المصروفات أى حوالى النصف ، وعدد تلاميذ مدارس الإرساليات الأجنبية (الأمريكان والمدارس الإنجليزية والفرير والجزويت) الذى بلغ ٥٠٣ منهم ١٢٨ فقط معفون من المصروفات أى أقل من الثلث مما يدل على مدى تشجيع المدارس القبطية للشعب على الإقبال على التعليم بما كان يقدمه القادرون من أوقاف للإنفاق على المدارس .

ومن هذا التقرير الأخير يتضح كيف توفرت النظرة الثاقبة لدى المصلحين من الأقباط فى ضرورة تحرير أولادهم من ثقافة المدارس الأجنبية تجنباً لاختلاف أخلاقهم وعوائدهم فى المستقبل وتجنباً لحدوث فصام فى قاعدة الثقافة القومية العامة . وبلغة عصرنا الحاضر لكى تتوحد ثقافتهم ولاتتباين الأسس التى قامت عليها تربيتهم . ومن هنا كان التعليم هو وعاء النضال القومى بين المصريين وبين الاحتلال البريطانى فقد أقبل المصريون يتحدونه وراحوا ينشئون المدارس ، إسلامية ومسيحية ، ويوقفون عليها الأفدنة والأموال والعقارات ، ويشجعون أكبر عدد من أولادهم وبناتهم على الالتحاق بها فقد فطنوا إلى أن التعليم كان هو الرافعة الوحيدة التى تصل بأولادهم إلى المستوى المطلوب مادياً واجتماعياً وسياسياً .

ونأخذ بعض الأمثلة العملية لهذه المدارس :

المثال الأول : مدارس الجمعية الخيرية القبطية :

التى أسسها بطرس غالى باشا سنة ١٨٨١ . وكان اسمها الأول مستمداً من غايتها « جمعية المساعى الخيرية القبطية لمساعدة المحتاجين » . وفى سنة ١٩٠٨ أقامت المستشفى ثم الصيدلية ثم المشغل البطرسى سنة ١٩١١ ، فالمدرسة الابتدائية سنة ١٩١٢ ثم مدرسة التدبير المنزلى .

المشغل :

كان هذا المشغل عبارة عن مدرسة صناعية للبنات اللائى جاوزن سن التعليم . وكان يعلم الفنون الطرزية : كالخياطة والتفصيل ، والتطريز بالإضافة إلى التربية الدينية ثم أضيفت إليه صناعة الجوارب بواسطة الماكينات وقد وضح مدى الاهتمام الذى أولته الجمعية لهذا المشغل من أنها أحضرت مديرة انجليزية قديرة لإدارته هى مس كالن المتخرجة فى جامعة كامبردج فأحسنت إدارته على امتداد ربع قرن فأقامت لها الجمعية حفل تكريم وتوديع سنة ١٩٣٧ تقديراً لجهودها فى خدمة هذا المشغل والنجاح فى تحقيق الغاية منه . وكان من نتائج اهتمام الجمعية ، وحسن إدارة المشغل أن البناء الذى كان مقاماً به ارتفع إلى ثلاثة أدوار : خصص الأول للمشغل ، والثانى لمدرسة التدبير المنزلى ، والثالث للمدرسة الابتدائية للبنات . ولقد امتدت رسالة المشغل لتصل إلى عدد كبير من العائلات والمشتركين الذين قاموا بصنع ملابسهم ، وتجهيز بناتهم فيه فقد توفرت به أحسن النماذج وأحدث الرسومات وكان من أثر ذلك أن السيدة هدى شعراوى ، وكثيراً ماكانت تشارك الجمعيات القبطية أنشطتها ، أقامت مشغلا على غراره ، من خلال جمعية المرأة الجديدة التى أنشأتها ، كما أن الوزارة نقلت عنه فكرة إعداد الفتاة كربة أسرة وأسست المدارس المعروفة بالفنون الطرازية . ولقد ضم المشغل ، مع الوقت ، ثمانية فصول تضم نحو المائتى تلميذة ، تصرف لهن الملابس والأدوات المدرسية والغذاء . أما التعليم فكان مجانياً .

المدرسة الابتدائية :

قبل سنة ١٩١٢ كانت الجمعية تتوسط فى إلحاق البنات الصغيرات ، المقررة لعائلاتهن إعانات ، فى المدارس القبطية التابعة للبطريركية ، ولجامعة المحبة ؛ وكانت تنفق عليهن مبالغ كبيرة مقابل ثمن الكتب والملابس ورسوم الامتحانات . وفى أوائل سنة ١٩١٢ شرعت فى فتح مدرسة ابتدائية مجانية للبنات الفقيرات بسبب كثرة عددهن ، ولتخفيف الحمل على عاتق المدارس المذكورة وافتتحتها فى إبريل من السنة نفسها وأحضرت لها ناظرة إنجليزية أما عدد تلميذاتها فبلغ ٢١٠ تقدم لهن وجبة غذاء . وقدبقيت هذه المدرسة حتى سنة ١٩٣٧ .

مدرسة التدبير المنزلى :

قامت الجمعية بعد ذلك فى سنة ١٩١٤ بإنشاء مدرسة للتدبير المنزلى وألحقتها بالمدرسة الابتدائية وبقيت تؤدى رسالتها حتى سنة ١٩٢٨ . وكانت الجمعية تصرف لتلميذاتها الأدوات المدرسية والكساء مجاناً ، وترصد للمتفوقات جوائز توزع عليهن سنوياً . وفى نوفمبر سنة ١٩٣٠ أقامت الجمعية مدرسة أولية مجانية لتعليم الأطفال . وفى الوقت نفسه لم تهمل الطلاب من الشباب بل كانت تتوسط فى إلحاق غير القادرين منهم بالتعليم العالى . وكذلك التلاميذ الفتيان ، بالتعليمين الثانوى والابتدائى .

المدرسة التحضيرية الراقية :

ألغت الجمعية المدرستين الأولية والابتدائية سنة ١٩٢٨ لتحل محلهما المدرسة التحضيرية الراقية لتعليم البنات ووضع برنامجها بحيث يكون مناصفة بين العلوم ومواد التدبير المنزلى والرسم والدين والأشغال اليدوية بحيث تصبح المدرسة التحضيرية كاملة الجانبين العلمى والعملى فتنتقل خريجاتها إلى المشغل مباشرة لإتمام دروسهن فى التفصيل والأزياء والتطريز . وقد استهدفت الجمعية من ذلك إعداد تلميذاتها لمواجهة الحياة خاصة وأن مناهج وزارة المعارف لم تكن مجدية فى هذه الناحية . وقد ضمت هذه المدرسة ست مدرسات مؤهلات تأهيلا عالياً ، ومعلم دين من خريجى المدرسة الإكليريكية

وفى كل هذه المدارس راعت الجمعية إدخال الأنشطة المدرسية الممكنة ورصد الجوائز للمتفوقات وكثيراً ماأسهم فيها عدد من الكبراء على رأسهم الأمير عمر طوسون .

* * *

المثال الثانى : مدارس جمعية التوفيق :

تأسست هذه الجمعية سنة ١٨٩١ وجعلت التعليم هدفاً رئيسياً لها باعتباره الوسيلة الكبرى لرقى الأمة فاصطنعت مختلف الوسائل لتحقيق ذلك: المكتبة ، المطبعة ، النادى ، الحفلات القومية والمتحف . لكن من الطبيعى أن تكون المدرسة فى مقدمة هذه المشروعات جميعاً :

ففى سنة ١٨٩٤ أنشأت الجمعية المدرسة الابتدائية للبنين بسراى السلحدار بالفجالة .

وفى سنة ١٨٩٧ أنشأت المدرسة الابتدائية للبنات .

وفى سنة ١٩٠٤ أنشأت المدرسة الصناعية لكن الاحتلال ظل يقاومها حتى أغلقها سنة ١٩١٧ .

وفى سنة ١٩١٢ أنشأت المدرسة الثانوية للبنين وأكملت فرقتها النهائيتين سنة ١٩١٦ .

وفى سنة ١٩٢٩ أنشأت المدرسة الثانوية للبنات .

وفى سنة ١٩٣٩ أنشأت مدرسة للفنون الطرزية ثم داراً للتربية الفنية سنة ١٩٤٩ .

وكان القبول بهذه المدارس جميعاً مفتوحاً أمام التلاميذ والتلميذات بصرف النظر عن ديانتهم أو عقيدتهم أو حتى جنسيتهم فقد قبل بها عدد من السودانيين ، طالما أن شروط القبول متوافرة فيهم .

وقد تميزت هذه المدارس باقتناع مؤسسيها بأهمية رسالة التعليم ، وبعملهم الدائب على استكمال كل المراحل التعليمية ونجحوا فى ذلك كل النجاح ، وبتوفير التربية الدينية ليس بالمدرسة فقط بل وفى دار الجمعية حيث رتبت

برنامجاً للدراسة الكتاب المقدس مرة فى الأسبوع وبذلك حققت الجمعية غاياتها التربوية الروحية والخلقية : فقد أخذت بالنظم التقدمية فى التعليم ، كما دعت إلى إنشاء كلية خاصة للبنات فى أكتوبر سنة ١٩٠٩ وتبرعت الحكومة لها بقطعة أرض بالعباسية فأقامتها ثم افتتحتها سنة ١٩١١ . وكانت الجمعية تمنح فرصة المجانية لغير القادرات والقادرين من تلميذاتها وتلاميذها كما كانت تخصص الجوائز للمتفوقين منهم . وامتداداً بهذه الرسالة إلى الأقاليم تأسست فروع لمدارس التوفيق بالاسكندرية وطنطا والفيوم . ولئن كانت قد احتفظت بالاسم لكنها كانت مستقلة تماماً عن الجمعية الأم .

المثال الثالث : المدارس القبطية :

ونعنى بها المدارس القبطية التى أسسها البابا كيرلس الرابع سنة ١٨٥٥ فقد أنشىء بمدرسة الأقباط بالأزبكية قسمها الثانوى سنة ١٨٧٨ على عهد البابا كيرلس الخامس الذى أسس فى بولاق مدرسة صناعية سنة ١٩٠٣ وعاونه فى ذلك عالم كبير هو وهبى بك تادرس الذى لم يكن مربياً فقط لكنه كان فناناً أيضاً فقد قام بترجمة عدد من الروايات التمثيلية منها تليماك للمفكر الفرنسى فولتير ، بل وإليه يعزى تأليف أول رواية تمثيلية عربية بعنوان « التوفيق فى قصة يوسف الصديق » وقد مثلت على مسرح الأوبرا فى حفل حضره الخديوى نفسه وسلم على المؤلف مهنئاً مثنياً على جهده .

وبالرجوع لتقارير المفتشين عن هذه المدارس نرى أنها تفيض بالتقدير خاصة وأن نسبة المجانية بها بلغت نحو ٤٤ ٪ علماً بأن عدد تلاميذها بالمرحلتين الابتدائية والثانوية وصل فى بعض السنوات إلى ١٥٠٠ . ومن واقع شهادة التاريخ فإن هذه المدرسة كانت أول مدرسة ثانوية أهلية بالقطر فى وقت لم توجد فيه سوى مدرستان ثانويتان أخريتان هما الخديوية والتوفيقية .

أما بالنسبة للمرحلة الابتدائية فقد قام البابا كيرلس الخامس سنة ١٨٧٥ بنقل المدرسة الابتدائية للبنات من حارة السقايين إلى شبرا بعد رحيل عدد كبير من العائلات القبطية إليها .

المثال الرابع : المدارس القبطية بالأقاليم :

المدارس القبطية بالأقاليم : أسهمت فى إقامة هذه المدارس فئات ثلاث :

الأولى : الآباء البطاركة والأساقفة بالتعاون مع المجالس الملية .

الثانية : الجمعيات القبطية .

الثالثة : العائلات القبطية القادرة .

أولا : المدارس التى أنشأها الآباء البطاركة أو الأساقفة :

المدرسة المرقسية بالاسكندرية — مدرسة الأقباط بالمحلة الكبرى — وبسنباط — أبنهس (دقهلية) — وقويسنا — والبتانون — ومنوف — وميت غمر — والفيوم — والمنيا — ومنفلوط — ديروط — والقوصية (أقامها الدير المحرق) — ودير مواس — وبرابى حنس — ودير البرشا — والروضة — وأسيوط — والنخيلة — وأبو تيج — والبدارى — وأبنوب الحمام وصدفا — وقنا .

ثانياً : المدارس التى أسستها الجمعيات القبطية :

مدارس الجمعية الخيرية فى البلاد الآتية :

دمنهور — المنصورة — طنطا — شبين الكوم — حصة مليج — بنها — قليوب — شبلنجة — كفر سلامة (شرقية) — أما ميت يعيش وميت دمسيس فقد أسست بهما مدرستان باسم جمعية الترغيب والتهذيب .

وفى الوجه القبلى : بالجيزة وبنى سويف والفشن وببا والمنيا وسوهاج والأقصر وأسوان .

ثم مدارس مدن القناة .

ونضيف هنا أن طنطا أنشئت بها جمعية المساعى الخيرية التى قامت بتأسيس مدرسة فى ٥ يونيو سنة ١٨٨٢ ضمت ٤٠٠ تلميذاً وذلك بعد أن قاد القمص فيلوثيئوس إبراهيم ، وهو أصلا من أهالى طنطا ، حركة تبرع جمع منها ألفى جنيه ابتنى بها المدرسة التى عاد إليها كل أولاد الأقباط ممن كانوا قد

سبقت الإشارة إلى جهود بعض الأديرة فى إنشاء المدارس .

التحقوا بمدارس الكاثوليك والبروتستانت . وقد اشتهرت هذه المدرسة بحفلاتها المعروفة التى كان يحضرها علية القوم من القاهرة وطنطا والبلاد المجاورة . ولما لمس الشعب نجاح المدرسة استمر فى تبرعه لها .

ثالثاً : المدارس التى أنشأتها العائلات القبطية الموسرة :

مدارس جريس — بكفر الزيات .

مدارس غبريال فرج — بحصة برما .

وقد أقام هذا الموسر أول مدرسة ثانوية ببرما قبل أن تنشأ مثيلتها بطنطا نفسها فكانت الأولى بالوجه البحرى والرابعة على مستوى القطر كله .

وبالشرقية :

مدارس داود سلامة — وعبد المسيح موسى — وبشاى مجلى الذى أسس مدرسة المساعى المشكورة — وسعيد حنا الذى أسس مدرسة النهضة الحديثة — وفهيم بنيامين الذى أسس مدرسة التوفيق — وسامى ونيس الذى أسس مدرسة النجاح بكفر صقر .

وبالصعيد :

مدارس سعيد عبد المسيح بالمنيا — وقلينى فهمى بمغاغة — وميخائيل فلتس بصنبو — وإخوان ويصا بأسيوط — وبسطا بك وإخوان زكى بسوهاج وإخوان بطرس بالبلينا — وداود تكلا بهجورة .

رابعاً : المدارس القبطية الأهلية بالقاهرة :

(أ) مدارس أقامتها جمعيات :

مدارس الإيمان بجزيرة بدران — مدارس السلام بالترعة البولاقية — مدارس الإخلاص بفم الخليج — مدارس ثمرة التوفيق بالفجالة — مدارس ثمرة الإخلاص بقصورة الشوام بروض الفرج .

(ب) مدارس أقامها مربون :

سليمان زكى الذى أقام مدرسة النهضة بالظاهر .

راغب مرجان الذى أقام المدرستين الثانوية النهارية والليلية بالفجالة .

يوسف ميخائيل الذى أقام المدارس الراقية بشبرا .

زخارى بطرس الذى أقام مدارس العهد الجديد بشبرا .

عبد النور خليل الذى أقام مدرسة بهاء العصر بالقللى .

ولئن كانت هذه المدارس قد جعلت التعليم مقابل مصروفات تقل أو تزيد ، وتنقص أو ترتفع ، وفقاً لظروف المجتمع المحلى الذى توجد به ، إلا أن الكثير منها تميز بمنح المجانية لغير القادرين أو القادرات من تلاميذها وتلميذاتها ، فضلا عن العمل على احضار أفضل المدرسين والمدرسات والمديرين مما كان يؤدى بها فى النهاية إلى تحقيق أحسن النتائج سواء فى امتحانات النقل أو الامتحانات العامة . وقد عاصر هذه الحركة تزايد النضال المصرى ضد الاحتلال الإنجليزى فكانت المدرسة أحد وسائل هذا النضال .

وفى تقرير للأستاذ عريان جرجس سنة ١٩٢٣ عن المدارس القبطية التابعة للبطريركية ، ذكر أنها فى تقدم مستمر ، وأنها كانت أولى المدارس الأهلية التى تتلقى إعانة من وزارة المعارف لكنه شكا من أزمة المدرسين والمدرسات ، وكذلك من موقع المدرسة الثانوية ومبانيها ، وإن كانت معاملها مجهزة بأحسن الأجهزة كما اقترح إلحاق بعض خريجات المدرسة الابتدائية بمدرسة المعلمات السنية حلا لأزمة المدرسات ، وكذا أن تنقل المدرسة الثانوية إلى مكان أفضل لتكون لائقة بتمثيل الأقباط .

ثانياً : الشـــكل التعليمى الدينى الخاص

١ — بـدء التعـليم اللاهوتى فى الكنيسة القبطية

فى أكتوبر سنة ١٨٧٤ طلب المجلس الملى من قداسة البابا كيرلس الخامس إنشاء مدرسة إكليريكية لإعادة الإكليروس إلى حالته العلمية الأولى وانتخاب القمص فيلوثيئوس إبراهيم رئيساً لها ، فأنشئت لأول مرة سنة ١٨٧٥ (فبراير) وكان طلابها بعض رهبان الأديرة . لكن لأن الإقبال عليها كان ضئيلا لم يقدر لها البقاء إلا بضعة أشهر فقط .

— فتحت بعد ذلك مرة أخرى سنة ١٨٩٣ (نوفمبر)، وفى عهد البابا نفسه، واختير لها ١٢ طالباً من المدرسة القبطية الكبرى ، و١٢ قساً ، وعقدت إدارتها ليوسف بك منقريوس لتقدم السن بالقمص فيلوثاؤس .

— اتخذت مكانها عند إنشائها فى الفجالة ، وفى السنة الثانية نقلت إلى الدار البطريركية . ثم إلى سوق القبيلة بالأزبكية ، ثم أعيدت مرة ثانية إلى البطريركية ، ثم إلى مهمشة سنة ١٩٠٤ . فالبطريركية مرة ثالثة وأخيراً إلى مهمشة سنة ١٩١٢ حتى سنة ١٩٥٣ حين نقلت إلى مقرها الحالى بأرض الأنبا رويس بالعباسية .

— كانت إدارتها تابعة للمدارس القبطية . واشترط لقبول طلبتها عقد اختبار قبول لهم ، وموافقة الأب البطريرك .

— بدأت كمدرسة علمية موادها التاريخ والجغرافيا ، واللغـــات : القبطية والعربية والإنجليزية . والرياضيات ، والألحان . ولم يتوفر بها مدرس للدين مع أن الهدف منها كان إعداد رعاة للكنيسة .

— فى سنة ١٨٩٦ عين القمص فيلوثاؤس إبراهيم معلماً للدين بها لمدة ساعتين يومياً وكان وقتئذ هو الواعظ الوحيد بالكنيسة القبطية لكنه كان

متقدماً فى السن فلم يستطع الاستمرار فى العمل وعين بدلا منه القمص يوسف حبشى فى نوفمبر سنة ١٨٩٧ إلى سنة ١٨٩٩ حين اختير الأرشيد ياكون حبيب جرجس .

— كان حبيب جرجس من الدفعة الأولى التى التحقت سنة ١٨٩٣ والتى بلغ عدد طلابها أربعين طالباً ، وقد برز بين زملائه بإقباله على التحصيل ، وعكوفه على قراءة المراجع بالمكتبة البطريركية ، حتى أن أساتذة مادة الدين : القمص فيلوثاؤس ، والقمص يوسف حبشى ؛ كانا يعهدان إليه بتدريس الفرق الأولى نظراً لتقدم السن بهما فلما تولى هو مسئولية تدريس هذه المادة زاد إقبالا على الدرس فلم يترك مرجعاً فى المكتبة إلا وقرأه .

— كانت نصب عينه عبارة هامة قالها بطرس غالى باشا وقتها « اهتموا بالمدرسة الإكليريكية قبل غيرها فإنه إذا أغلقت جميع مدارسكم القبطية ، فإنكم واجدون عنها عوضاً بالمدارس الأخرى ، لكن إذا لم تكن لكم مدرسة إكليريكية فأين تعلمون رعاتكم » ؟ .

— لم تكن لدى البطريركية أو المجلس الملى ، القدرة على الإنفاق على المدرسة ، فعانت كثيراً ، فكان أن قام بجولة على بعض الإيبارشيات ليقوم فيها بخدمة الوعظ ، ويحث القادرين على التبرع لتصبح المدرسة لائقة بأمة ذات تاريخ مجيد ، وبكنيسة لها شأن يذكر فى عالم المسيحية .

— إنهالت التبرعات ، مادية وعقارية ، فاشترى دار المدرسة بمهمشة سنة ١٩٠٢ ، وكذلك دار العرفاء ، بل وقام البابا كيرلس بتشييد مدرسة الصنائع القبطية ببولاق لتعليم العرفاء بعض الفنون الصناعية التى تساعدهم فى كسب رزقهم .

— فى سنة ١٩١٨ وقع اختيار البابا كيرلس عليه ليكون ناظراً للمدرسة فبدأ فى تطوير المدرسة شكلا وموضوعاً : بتحسين مرافقها واستكمال القسم الداخلى بها ، وإحضار أكفأ المدرسين ، وإضافة المواد الجديدة اللازمة لإعداد الراعى الجديد بمسئولية الرعاية وجعل مدة الدراسة بها أربع سنوات

فقط بدلا من خمس ، وحدد مناهج وافية لكل فرقة بحيث يتخرج منها فى النهاية أساقفة وقسوس عارفون بواجب الخدمة التى ينتخبون لها لكى لايكونوا عالة على كاهل الأمة .

— بمرور الوقت ارتفع مستوى الطلاب الملتحقين بها فاشترط أن يكونوا حاصلين على شهادة الكفاءة ، ثم زاد هذا الشرط فأصبح للحاصلين على من أتموا الدراسة الثانوية مع انتقاء الأكفاء منهم .

— وفى سنة ١٩٣١ ألحقت بها كنيسة على اسم السيدة العذراء فكانت خطوة هامة فى ربط التعليم النظرى بالممارسة العملية للخدمة الكنسية والتدريب على الوعظ .

— وتابع حبيب جرجس إدارتها بحنكة وغيرة حتى قرب أواخر الأربعينات حين تقدم به السن فلزم الفراش لمرضه لكن بعد أن ترك بها تراثاً عظيماً وتقاليد روحية وتربوية بالغة الأثر ويكفى أنه لكى يضع لائحتها استحضر مناهج الكليات المماثلة فى اليونان والفاتيكان وانجلترا وأميركا ، ومن كافة المذاهب ، ليفيد من خبرتها . بل وزاد على ذلك بأن انتهز مناسبة عضويته بالمجلس الملى ، لأربع دورات متتالية ، فعمل على دعم هيئة التدريس ، ورفع مستوى المرتبات ، فضلا عن الجهاد فى وضع كادر للخريجين تشجيعاً للطلاب على الالتحاق بها ، وحفزا للأساقفة ألا يختاروا معاونيهم من الكهنة إلا من خريجى الإكليريكية .

— وتميز الرجل أيضاً بعمق النظر ، وسعة الأفق حتى أنه وضع فى الاعتبار أن تنتظم المدرسة مختلف نوعيات المكرسين للخدمة فكان يرحب بالرهبان ، وأبناء القسوس ، بل إنه حدد يومين أسبوعياً لتدريس الكهنة المختارين حديثاً ، لاستكمال دراستهم مما نعرفه فى الوقت باسم الدورات التدريبية . ولكى يجعل المدرسة بيئة تربوية متكاملة أنشأ قسماً للتأليف والترجمة والنشر وكان ينتقى من طلابه أصحاب المواهب فى هذا المجال إما ليعهد إليهم بكتاب هام يترجمونه ، أو بموضوع ، بل إنه قام بتشجيع

أساتذة الكلية على وضع ترجمة قبطية للإنجيل ، وكذلك شجع بعض طلاب على أن يؤلفوا ويكتبوا ، مما كان له أكبر الأثر فى نمو حركة التأليف فيما بعد بل واهتم بالتربية البدنية فاشترى أدواتها اقتناعاً منه بتكامل العمل التربوى .

— وكان من الطبيعى أن يتم على يديه افتتاح القسم المسائى الجامعى سنة ١٩٤٥ ليلتحق به خريجو الجامعات ممن لاتساعدهم ظروفهم العائلية أو المادية على التفرغ نهاراً بحكم أعمالهم .

— ولم تمنعه جهوده فى النهوض بمدرسته : طلاباً وخريجين وأساتذة ، من العكوف على الكتابة والتأليف فى مختلف المجالات الكنسية : تعليمية ، وروحية ، وعقيدية ، وإصلاحية ، وتاريخية ، ولاهوتية ، بل ووضع ترانيم أيضاً للكبار والأطفال ، بالإضافة إلى إنشائه لمجلة الكرمة التى كانت منبراً فذاً فى نوعه ينقل إلى قارئه ألوان الفكر الآبائى والتعليمى وكان منه فى هذا المجال جمهرة من المتخصصين الفضلاء فكانت هذه المجلة بحق مدرسة الخدمة الأولى للشعب القبطى فى مطلع القرن العشرين .

٢ — خدمة مدارس الأحـــد

فى سنة ١٨٩٨ قرر المجمع المقدس المنعقد بالدار البطريركية بالقاهرة وجوب تعليم الدين المسيحى للأطفال ولتلاميذ المدارس . ذلك أن هذه المدارس ، بسبب عدم وجود المدرسين الذين على علم بتعاليم إنجيلهم وكنيستهم ، لم تكن بها حصة للدين المسيحى . فرأى المجمع سداً لهذا النقص إنشاء مدارس أحد الغرض منها :

(أ) تعويد الأطفال والشبان حضور الكنيسة .

(ب) تزويدهم بعلوم الدين وحقائق الإنجيل .

(ج) تقديس يوم الأحد .

(د) تعويدهم الفضائل والأخلاق السامية وإعدادهم ليكونوا رجالا نافعين لوطنهم .

(هـ) العناية بنظافة ملابسهم وصحة أبدانهم .

(و) بث روح القومية فيهم ، وتعويدهم على خدمة شعبهم .

وفى عام ١٩٠٥ قامت أول حركة للاستعانة بالشبان الأتقياء المثقفين لتعليم هذه الدروس للأطفال ، والإسهام فى تحقيق هذه الأهداف جميعاً .

وفى عام ١٩١٨ كان حبيب جرجس قد قطع مرحلة لابأس بها فى تأليف وطبع دروس مدارس الأحد . بل إنه كان يحضر الصور المصقولة من الخارج فكانت أثمن هدية أسبوعية يحصل عليها أطفال وتلاميذ مدارس الأحد مما كان يشوقهم إلى المواظبة بل ودعوة زملائهم وأترابهم للحضور معهم

ومن العوامل التى ساعدت حبيب جرجس على نشر هذه الفكرة حماس تلاميذه طلاب الإكليريكية على العمل فى هذا الميدان الروحى الخصب مما كان له أثره فى زيادة عدد الفروع ، وبالتالى نمو أعداد المترددين عليها من

الأطفال والتلاميذ والتلميذات والشباب فكان أن وضع لهم لائحة منظمة ، وشكل لجنة عامة من كبار الأراخنة الأقباط لتوجيه العمل توجيهاً جماعياً سديداً فدل بذلك على نضج فكرى وذكاء طبيعى وفهم واقعى لأسلوب القيادة الحكيمة الواعية .

— واستطاع حبيب جرجس مع الوقت أن يدعو قداسة البابا ، بحكم أنه راعى الرعاة ، ليكون هو الرئيس الأعلى للجنة العامة لمدارس الأحد ، مما كان له أثره العميق فى ضم الآباء المطارنة والأساقفة والكهنة إلى معاونة الحركة والإسهام فيها والدعوة لها حتى انتشرت على امتداد الوادى من الاسكندرية شمالا إلى أسوان جنوباً بل وإلى السودان أيضاً .

٣ — جمعية أصدقاء الكتاب المقدس للشبان والطلبة

تأسست جمعية أصدقاء الكتاب المقدس للشبان والطلبة سنة ١٩٠٨ برئاسة الأستاذ باسيلى بطرس . الذى كان من خريجى الكلية الإكليريكية . ثم عين مدرساً فوكيلا لمدرسة الأقباط الكبرى . وكان من أهم الأغراض التى أسست لكى تحققها :

بث روح الفضيلة بين الشبان عموماً والطلبة والطالبات بوجه خاص . ونشر دراسة الكتاب المقدس بينهم . وقد وضع مجلس إدارتها خطة توعية تستهدف خدمة الشباب بالقسم العالى . وخدمة القسم الثانوى . والابتدائى . كما أسس مكتبة . ونادياً . وأقام المنازل الطلابية للمغتربين الوافدين من الأقاليم . وأصدر مجلة شهرية كان من أهم أبوابها القراءات اليومية فى الكتب السماوية .

ولقد اتخذت الجمعية من الأصحاح الثانى عشر من رسالة القديس بولس الرسول إلى كنيسة روما شعاراً لها ؛ إذ هو يحوى الفكر المسيحى فكراً وتطبيقاً على مثال السيد المسيح له المجد .

ومن أشهر العاملين القدامى فى هذه الجمعية : الايغومينوس إبراهيم لوقا . والقمص مرقس داود ، والأرشيدياكون عياد عياد ، وسابا حبشى باشا ، وإبراهيم بشارة ، والأستاذ تكلا رزق ، والمستشار إسحق عبد السيد ، والأستاذ يونان نخلة (الذى أسس فيما بعد جمعية المحبة) والدكتور شفيق عبد الملك ود. صادق أنطونيوس وغيرهم .

ولقد عاصرت جمعية الأصدقاء شقيقتها جمعية الصديقات التى انضمت إليها فضليات النساء ... وفى الجمعيتين اتجه العاملون والعاملات إلى ترسيخ دراسة الكتاب المقدس نظراً وعملا وربط الشباب بالقداس ، وضمانا لحثهم على دراسة الكتاب المقدس وزعت الجمعية كارتات شهرية لتسجيل الدراسة اليومية كما نظمت المسابقات وخصصت لها الجوائز .

واقترن هذا كله بالكثير من ألوان النشاط التربوى : كالقيام بالرحلات الدينية والترفيهية ، وإنشاء مصيف الأصدقاء بالمندرة ، وترتيب أسبوع الخيام السنوى بإحدى الجهات الخلوية ، فضلا عن المحاضرات الأسبوعية وعمل المكتبة لتشجيع الأعضاء على الاطلاع ، ثم تخصيص أوقات للصلاة . ولقد أدت هذه الخطة المتكاملة فى رعاية الشباب إلى انتشارها فى مختلف المديريات وانضمام الكثير من الأسر بل ومن أصحاب المناصب الرفيعة ممن اعتبر وا بحق إخوة كبار لأعضاء الجمعية من الخدام والشباب . فكانت الإدارة المركزية ترتب لهم مؤتمراً سنوياً يتناول فيه الباحثون الكثير من الموضوعات الروحية والتعليمية بل والإصلاحية أيضاً التى تمس المشكلات التى كانت تعانى منها الكنيسة خاصة فى الفترة بين أواخر العشرينيات حتى مطلع الخمسينيات .

ثالثاً : الشكل الثقافى

أخذ هذا الشكل مجموعة من المظاهر أكدت مسار التيار الثقافى فى البلاد ولئن كان هذا التيار قد صادفته الكثير من المعوقات فى بعض الأحيان بحيث أضعفت من جريانه وسريانه إلا أنه ظل مع ذلك غير منقطع . ويمكن أن نرى هذا الشكل كما قام به الأقباط أو شاركوا فيه ، فى صورتين أساسيتين :

الأولى : التثقيف الذاتى

وكان مجاله الأسرة .

والصورة الثانية : التثقيف العام :

وكان مجاله المتاحف والصحف والنوادى وإليها نضيف دورهم فى إنشاء الجامعة الأهلية وقد كانت ، منذ سنة ١٩٠٨ ، وسيلة للثقافة والدراسة الحرة العامة حتى أصبحت تابعة للدولة سنة ١٩٢٥ .

أولا : التثقيف الذاتى :

كان مجال هذا الشكل فى الأسر وخاصة فى الأقاليم . فامتداداً لتقاليد الأسرة المصرية ، ثم الأسرة القبطية ، منذ فجر المسيحية ، نعلم أن الكثير من الأسر كانت تقتنى المكتبات الخاصة التى تضم العديد من المخطوطات التى كانت بتنوع موضوعاتها بمثابة مدرسة للاطلاع الشخصى والتثقيف الذاتى فى مختلف أنواع المعرفة اللاهوتية والعلمية والكنسية ، وعليها تتلمذ أعضاء هذه الأسر رجالا وسيدات . وكانت بعض هذه الأسر تدعو المعلمين لتدريس أولادهم وبناتهم اللغتين القبطية والعربية . ومن أشهر الأمثلة الدالة على دور هذه المكتبات الأسرية ، وأثرها فى التثقيف الذاتى (بالإضافة إلى الذكاء الطبيعى والاجتهاد الشخصى) . ومن كبار أساتذة الجيل الذين اعتمدوا على التثقيف الذاتى :

١ — عريان مفتاح :

الذى كان عالماً متبحراً فى اللغتين القبطية والعربية ، ويعتبر أول معلم قام بتعليم اللغة القبطية وقواعدها بالمدارس القبطية خلال القرن ١٩ وعنه تسلم القمص فيلوثيئوس إبراهيم دقائق قواعدها حتى نبغ فيها .

٢ — مرقس يوسف الحبشى :

الذى ولد فى البتانون سنة ١٨٢٩ وأخذ يتعلم العربية والقبطية باجتهاده الشخصى . أما قواعد النحو العربى فقد درسها على مشائخ الجامع الأحمدى بطنطا .

٣ — القمص فيلوثيئوس إبراهيم :

تعلم فى صبوته اللغة القبطية ولما كانت اللغة الإيطالية هى أكثر اللغات إنتشاراً فى عهده (منتصف القرن ١٩) فقد اجتهد فى تعلمها قراءة وكتابة بواسطة الكتبة الإفرنج الموجودين معه فى المحل التجارى الذى عين به .

٤ — يعقوب نخلة روفيلة :

كان أستاذاً للإنجليزية والإيطالية ونبغ على يديه كثير من تلاميذ المدرسة القبطية الصغرى بحارة السقائين فارتقوا إلى الوظائف العالية . وكذلك تعلم الفرنسية والقبطية باجتهاده الشخصى . كما خدم بالمطبعة الأميرية فتمرن على أعمالها حتى صار ذا خبرة تامة بأعمال المطابع فلما أحضرت جمعية التوفيق مطبعتها كان روفيلة هو الرئيس المدرب لعمالها والمنظم لإدارتها . ولسعة خبرته فى التعليم اختير عضواً بمجلس شورى النواب فى مارس سنة ١٨٨٣ ثم عضواً فى قومسيون المدارس بالمجلس وأخيراً عضواً بالمجلس الملى العام سنة ١٨٩٢ .

٥ — حبيب جرجس :

الذى يذكر فى مذكراته أنه كان يتردد على المكتبة البطريركية فلم يترك شاردة أو واردة إلا واطلع عليها مما ساعده على القيام بالمسئولية التى عهد بها إليه القمص فيلوثيئوس إبراهيم أستاذه ومعلمه بالمدرسة

الإكليريكية وهى التدريس بالمدرسة ، لكنه أفاد من اطلاعه هذا على أوسع مدى فى وضع الكثير من المؤلفات اللاهوتية والروحية والتعليمية وكذلك فى شرح الكتاب المقدس بأسلوب مبسط لخدام وتلاميذ مدارس الأحد بل وكتب فى القوانين الكنسية وقضايا الإصلاح فضلا عن الردود العقائدية على المذاهب غير الأرثوذكسية وفصول التأملات الروحية .

شخصيات أخرى :

الأمثلة التى أوردناها سابقاً على سبيل النماذج فقط لاالحصر لكننا لانستطيع أن ننسى صورة أخرى للتثقيف الذاتى فيما رأيناه فى شخصية كالمعلم ميخائيل جرجس كبير مرتلى الكاتدرائية على أواخر القرن التاسع عشر ، والنصف الأول من القرن العشرين ، والأرشيدياكون فرنسيس العتر رئيس شمامسة الكنيسة البطرسية اللذين كانا يترددان على الأزهر لدراسة اللغة العربية واللقاء بالشيخ محمد عبده الذى كان يعقد مساء كل يوم بالجامع الأزهر حلقات دراسة للغة . بل إن المعلم ميخائيل يذكر أنه استطاع بعصاميته وحماسه القوى أن يتسلم الألحان من معلمين كبيرين سابقين عليه لكنهما كانا بخيلين بعلمهما فكان يختبئ تحت « الدكة » التى يجلسان عليها ليراجعا معاً هذه الألحان ، ولما تميز به من أذن واعية ، وحس موسيقى دقيق وذاكرة قوية ، فقد تمكن من حفظ هذه الألحان واختزانها حتى إذا فتح قسم الألحان بمعهد الدراسات القبطية انضم إليه وسلم هذا التراث العظيم للكنيسة وللأستاذ راغب مفتاح يرجع الفضل الأكبر فى حفظ هذا الكنز بل وتسجيله على اسطوانات وأشرطة .

ونذكر أيضاً فى مجال المكتبات الأسرية مكتبة المرحوم ميخائيل صليب بشبرا وكان يعقد اجتماعاً لدرس الكتاب المقدس بمنزله وقد أسفر هذا الاجتماع فيما بعد عن إنشاء كنيسة القديس الأنبا أنطونيوس . وكذلك نذكر الأستاذ الكبير والمربى العظيم كامل ميخائيل عبد السيد الذى عاش حياته طولا وعرضاً مكرساً ، دون زواج ، لخدمة بلده وكنيسته ، وتكوين مكتبة علمية قل أن يوجد لها نظير ، فلما تأسس معهد الدراسات القبطية ، قدم كل منهما :

ميخائيل صليب وكامل ميخائيل ، مكتبته لتكون نواة لمكتبة المعهد ، فكان عملا كبيراً وخدمة جليلة تفوق الوصف إذ بلغت هاتان المكتبتان مالايقل عن ٤٠٠٠ مجلد عداً . ومن أصحاب المكتبات الخاصة أيضاً الأستاذ جرجس فيلوثيئوس عوض الباحث اللغوى فى القبطيات والمؤرخ ، وصاحب المجلة القبطية ، الذى كتب الكثير من الأبحاث والمؤلفات خاصة عن البابا كيرلس الرابع ، وكذا عن حميه القمص فيلوثيئوس إبراهيم ، وهما من أعظم المراجع فى تاريخ الكنيسة القبطية والشعب القبطى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

هذه الشخصيات ، التى انتقيناها كنماذج وأمثلة ، تمثل صورة العديد من العصاميين الذين أنتجهم القرن ١٩ وأوائل القرن العشرين ، ومنهم من كتبوا سيرهم الذاتية مثل دكتور نجيب محفوظ والكاتب المفكر سلامة موسى ويعنى هذا أن التعليم النظامى لم يكن كافياً ، ربما فى مجال الوظيفة كان كافياً ، لكن بالنسبة للاستزادة من المعرفة كان لابد من الجهد الذاتى ، وهذا ماوفرته الكثير من الأسر القبطية .

من مكتبة الأسرة ننتقل إلى مكتبات الكنائس التى كانت عامرة بالمخطوطات التى يطلع عليها رجال الدين والخدام ليقدموا مما أفادوه مؤلفات تضيف الكثير من الزاد التعليمى والكنسى وخاصة بعد أن أحضر الأنبا كيرلس الرابع مطبعته المشهورة ثم توالى شراء المطابع بعد ذلك : كمطبعة جريدة الوطن ، ومطبعة جمعية التوفيق .

كذلك هناك أيضاً مكتبات الجمعيات : فقد أقامت جمعية التوفيق مكتبة ضمت الكثير من الكتب والمؤلفات فى مختلف العلوم والمواد . وأما السبب فى إنشائها فهو شعور أعضاء الجمعية بافتقار الأمة واحتياجها إلى وجود « كتبخانة » عمومية مفيدة أدبياً ودينياً تحفظ بها مؤلفات أحبارنا ورجالنا الأفاضل ، وتكون كعبة آمال المجتهدين من طلبة الدين والعلم والأدب « يحجون إليها طلباً فى استخراج دقائق كنوزها » . ولقد أصبحت هذه المكتبة مجالا لتسابق الغيورين فى التبرع ، وارتبطت حركة التنوير هذه بإحضار المطبعة التى استهدفت — كما قالت الجمعية فى أحد تقاريرها — « خدمة الأمة

وجلاء الأذهان وتنوير الأفهام ، تبشر بالمعارف والآداب وتسهل طبع الكتب والمؤلفات وبالأخص مايتوقف عليه نظام أحوالنا الاجتماعية » . وكان باكورة أعمال المطبعة كتاب « الأحوال الشخصية » كما قامت بعد ذلك بطبع تقويم التوفيق ومجلة التوفيق .

نأتى بعد ذلك إلى الصورة الثانية للنشاط الثقافى وهو التثقيف العام بواسطة :

المتاحف :

وفى مقدمتها يأتى المتحف القبطى الذى يرجع الفضل فى إنشائه فى الثلاثينات لمرقس سميكة باشا ، ونخلة الباراتى ؛ وقد أدى دوراً كبيراً كمركز لحقبة هامة من تاريخنا القومى العام هى الحقبة القبطية فسد فراغاً فى مجموعة متاحفنا : المتحف المصرى الذى تحفظ به بعض آثار حضارتنا القديمة ، والمتحف الإسلامى الذى يزدحم بصور الحضارة العربية والمخطوطات الإسلامية النادرة .

وبهذا اكتملت صورة حضارتنا على امتداد العصور . ومع الوقت أصبح المتحف القبطى ، بمكتبته النادرة ، وعلماء الآثار القبطية الذين عينوا به ، مركزاً علمياً يلتقى فيه المتخصصون فى القبطولوجيا وليس بحث بردیات الحركة الغنوسية خلال الخمسينيات ، وترجمتها ، على عهد الدكتور باهور لبيب ، عنا ببعيد .

الصحف :

وفى مقدمتها صحيفتا مصر والوطن اللتان أسستا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

وكذلك المجلة الجديدة التى أسسها سلامة موسى فى الثلاثينات .

الجامعة الأهلية :

اشترك الأقباط فى تأسيسها فقد ضمت لجنتها التأسيسية اثنين منهما هما أخنوخ فانوس ، ومرقس حنا . وإلى الأخير يعزى فضل إنشاء قسم الحقوق

الليلى الملحق بكلية الحقوق وذلك فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٩ ، وكان هذا المحامى وقتها نقيباً للمحامين فوضع تقريراً بإنشاء هذا القسم وكذلك بإنشاء قسم العلوم الجنائية فى أكتوبر من السنة نفسها . ولذلك فإن من يؤرخ لهذه الجامعة يذكر أنها فى لجنتها الأولى مثلت أعيان الأمة ومثقفيها من عنصرى الأمة مسلميها وأقباطها . ومن المعروف أن الاحتلال البريطانى حاول تعويق مشروع قيام هذه الجامعة ، وتظاهر أنه يستهدف بذلك تعليم القاعدة الشعبية العريضة فدعا إلى إنشاء المزيد من الكتاتيب لكن المصريين واصلوا مشروعهم حتى خرج إلى الوجود ثم مالبثت الجامعة أن أصبحت أميرية تابعة للحكومة سنة ١٩٢٥ وكان ذلك بداية تطورها وارتقائها .

تبقى النوادى :

وهى إحدى الوسائل التربوية التى اصطنعها الأقباط فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

وأول من أسس النوادى يعقوب نخلة روفيلة واستهدف من تأسيسه عقد جلسات حوار لزيادة التفقه فى اللغة الإنجليزية وكان يرأس الجلسات به أستاذ متضلع فى تلك اللغة .

النـادى الثانى :

نادى جمعية الأصدقاء الذى أقامه باسيلى بطرس سنة ١٩١١ وهو أستاذ مرب وكان وكيلا لمدرسة الأقباط الكبرى ويعتبر المؤسس لجمعية الأصدقاء .

النـادى الثـالث :

أسسه الأستاذ حبيب المصرى فى أسيوط للشباب القبطى وتدريبه على المحاضرات والبحث والاطلاع . وكان ذلك فى أوائل القرن واستمر نحو ١٥ سنة .

نادى جمعية التوفيق ، الذى أسسته الجمعية لتشجيع التربية الدينية والإجتماعية بين الشباب المشترك فيها والمقبل على إجتماعاتها .

خاتمـــــة

بذلك أكون قد استعرضت دور الأقباط فى خدمة التعليم القومى ، على إمتداد الأزمنة الحديثة منذ عهد الحملة الفرنسية حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين ، مقدماً له بدراسة عن الجذور التاريخيـــة والدينية والثقافية منذ مصر القديمة حتى نهاية العهد العثمانى مروراً بالعصر القبطى ، والعصور الوسطى ، وما تخللها من تيارات فكرية ومحاولات دائبة ، إن لم تكن مستميتة ، للحفاظ على التراث ، المصرى منه والمسيحى . ولقد كان طبيعياً أن تتسع الدراسة عن التعليم لتشمل التاريخ لمختلف الجهود الثقافية الثقافية والتربوية التى قامت بها المؤسسات القبطية ، الكنسية منها والشعبية ، منذ أواخر القرن التاسع عشر ، مما أعتبر بحق مرحلة تحور حضارى ، خاصة فى عهد البابا كيرلس الرابع فى آواسط القرن ، تغيرت خلالها الكثير من معالم الحياة المصرية عامة والقبطية بوجه خاص ، فيما قام به الآباء البطاركة ، والأساقفة ، والجمعيات القبطية ، والخدام الكنسيون المكرسون من جهود متوالية فى إنشاء المدارس ، ونشر الفكر الدينى والتأكيد للتربية الروحية ، فى ضوء المنهج الأرثوذكسى . وقد أبرز البحث دور المؤسسات القبطية ، والأراخنة الأقباط فى خدمة مصر ، والأسرة المصرية ، وكذلك فى الحفاظ على مسار تيار التعليم مما تضمن الحفاظ ، من جانب آخر ، على مسار الحضارة ، وعدم التخلف عن ركب الإنسانية المتقدمة والمتطورة إلى الحياة الأفضل ، سواء فى المجال الإجتماعى العام أو فى المجال القبطى والكنسى بوجه خاص . . . .

وتبقى بعد ذلك الفترة من سنة ١٩٢٥ حتى وقتنا الحاضر وهى فترة تميزت بسرعة التغير ، وتوالى الأحداث ، على الصعيدين القومى والكنسى ، مما يتحتم معه تخصيص جزء آخر من هذا البحث أتتبع فيه مسار الفكر التربوى فى الكنيسة ، ومظاهر التطور الذى استجدت عليه ، . . .

مراجع القسم الأول

أولا — المراجع العربية

— عبد العزيز صالح — التربية والتعليم فى مصر القديمة — رسالة دكتوراه فى الآثار والحضارة المصرية القديمة — جامعة القاهرة — يوليو سنة ١٩٥٦ .

— إبراهيم نصحى — تاريخ مصر فى عصر البطالمة — ج ١ ، ج ٢ — القاهرة — مكتبة النهضة — سنة ١٩٤٦ .

— أحمد بدوى — فى موكب الشمس — ج ٢ — القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر — سنة ١٩٥٠ .

— باهور لبيب — لمحات فى الدراسات المصرية القديمة — القاهرة — سنة ١٩٤٧ .

— مختصر دليل المتحف القبطى — القاهرة — مطبعة دار الكتب — سنة ١٩٥٩ .

— سليم سليمان الفيومى — مختصر تاريخ الأمة القبطية — (عن الخمسة قرون الأولى) — القاهرة — سنة ١٩١٤ .

— أنبا غريغوريوس :

— إكليمنضس
— أوريجانوس
} منشورات الكلية الإكليريكية .

— عبد المنعم أبو بكر — التعليم وأهدافه عند قدماء المصريين — محاضرة نشرتها اللجنة الإجتماعية لأسبوع شباب الجامعات — سنة ١٩٥٤ .

— فتحية سليمان — التربية عند اليونان والرومان — القاهرة — مكتبة نهضة مصر — سنة ١٩٥٨ .

— محمد أحمد حسين — مكتبة الإسكندرية فى العالم القديم — القاهرة — سنة ١٩٤٣ .

— مرقس سميكة — يس عبد المسيح — دليل المتحف القبطى — ج ١ ، ج ٢ — القاهرة — سنة ١٩٣٠ .

— نجيب ميخائيل — مصر والشرق الأدنى القديم — القاهرة — سنة ١٩٥٧ — الطبعة الثانية .

— يسطس الدويرى — موجز تاريخ المسيحية — القاهرة — أكتوبر سنة ١٩٤٩ .

— يوسف كرم — تاريخ الفلسفة اليونانية — القاهرة — الطبعة الثانية — سنة ١٩٤٦ .

ثانيا — كتب مترجمة

— القديس أثناسيوس الرسولى — حياة القديس أنطونيوس — ترجمة حافظ داود .

— ألفرد بتلر — فتح العرب لمصر — ترجمة فريد أبو حديد — القاهرة — دار الكتب — سنة ١٩٣٣ .

— إدريس بل — مصر من فتح الاسكندر حتى الفتح العربى — ترجمة عبد اللطيف على ، عواد حسين — القاهرة — مكتبة النهضة — سنة ١٩٥٤ .

— برتراند رسل — تاريخ الفلسفة الغربية — ترجمة زكى نجيب محمود — ج ١ ، ج ٢ — القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٤ ، سنة ١٩٥٦ .

— بريستد (جيمس هنرى) — إنتصار الحضارة — ترجمة أحمد فخرى — القاهرة — مكتبة الأنجلو — سنة ١٩٥٥ .

— روستوفتزف — تاريخ الدولة الرومانية الإجتماعى والإقتصادى — ترجمة محمد سليم سالم ، زكى على — القاهرة — سنة ١٩٥٨ .

— ول ديورانت — قصة الحضارة — (ج ١ ، ج ٢) — القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر .

ثالثا ــ المراجع الافرنجية

— Selected Translations from Greek :-

Alexandrian Christianity - selected translations of Clemənt of Alexandria and Origene, with introduction and notes by : J. E. Oulton, Philadelphia - 1954.

— Scries of Ante and Post Nicene Fathers : The writings of the Fathers down to A.D. 325, printed by Reverand Alexander Roberts and James Donalson, Vols II, IV, VI, Michigan, 1953.

— Patrolgia Orientalis : History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria from St mark to Theonas (300 A.D.) and from Peter I to Benjamin (661 A.D.). Arabic Text, edited, translated and annotated by B. Evetts, Paris, Libraire de Paris, 1907.

— Bell, H. Cults and Creeds in Graeco-Roman Egypt, Liverpool, 1953.

— Butts, R.F. A Cultural History of Education, first edition - New York — 1947.

— Eby, F. — Arowood, Ch. History and Philosophy of Education : Ancie: t and Medieval, New york, 1946.

— Latourette, K. S. A History of the expansion of Christianity in the first five centuries, Yale, Yale University, 1937.

— Lossky, V. The mystical Theology of the Eastern Church, London, 1957.

— Radwan, A.A. Old and New Forces in Egyptian Education, New York, Columbia University, 1949.

مراجع القسم الثانى

أولا : المراجع العربية

— تاريخ البطاركة — مخطوط رقم ٩٢ تاريخ — المكتبة البطريركية
— صور من تاريخ القبط — جمعية مارمينا بالإسكندرية — سنة ١٩٥١ —
— صفحة من تاريخ القبط — جمعية مارمينا بالإسكندرية — سنة ١٩٥٤ .
— التعليم عند القابسى — تحقيق د . أحمد فؤاد الأهوانى — لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة سنة ١٩٤٥ .
— السيوطى — حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة.
— المقريزى — عجائب الأخبار فى ذكر الخطط والآثار .
— السلوك فى معرفة الدول والملوك .
— جرجس فيلوثيئوس عوض—القول الابريزى فيما ذكره العلامة المقريزى
— سيدة إسماعيل الكاشف — مصر فى فجر الإسلام — القاهرة — سنة ١٩٤٧ .
— عبد الرحمن زكى — تراث مصر فى الحضارة الإسلامية — القاهرة — دار النيل للطباعة — سنة ١٩٥١ .
— عبد اللطيف حمزة — الحركة الفكرية فى العصرين الأيوبى والمملوكى — القاهرة — دار الفكر العربى — سنة ١٩٤٧ .
— على إبراهيم حسن — مصر فى العصور الوسطى — القاهرة — مكتبة النهضة — سنة ١٩٤٧ .
— محمد خطاب عطية — التعليم فى العصر الفاطمى الأول — القاهرة — مطبعة الإعتماد — سنة ١٩٤٧ .
— يس عبد المسيح — اوزولدپرومستر — عزيز سوريال — تاريخ البطاركة — جمعية الآثار القبطية . الناشر B. Evetts.
— من مار مرقس . إلى الأنبا يوساب البطريرك ٥٢ .
— تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية — المجلد الثانى — سنة ١٩٤٣ — ج ١

— الناشر يس عبد المسيح — اوزولد برمستر — عزيز سوريال .
— من البطريرك ٥٦ إلى ٦٥ .
— المجلد الثانى — الجزء الثالث — من ٦٦ — ٦٨ .
— المجلد الثالث — ج ١ — من ٦٩ — ٧٢ — الناشر — أنطون خاطر — برومستر — ج ٢ : البابا ٧٣ — من أثناسيوس الثالث إلى البابا متاؤس الرابع .

ثانيا : المراجع الافرنجية

— Butler, A. — Ancient Coptic Churches of Egypt, Vol. II, Oxfo,rd 1884.
— Chassinat, E. — Un Papyrus Medical Copte, Le Caire, 1921.
— Chauleur, S. — Histoire des Coptes D'Egypte, Paris, 1957.
— Fowler, M. — Christian Egypt, London, 1901.
— Glanville, S.R.K. Editor. Legacy of Egypt, Oxford, 1947.
— Hardy, E.R. Christian Egypt, New York, 1952.
— Neale, J.M. History of the Holy Eastern Church, London, 1947.
— Poole, S.L. History of Egypt in the middle Ages, Vol. IV, *5th* Edition, London 1936.
— Worrell, W.H. A short Account of the Copts, Ann Arbour : Michigan, 1945.

مراجع القسم الثالث

أولا : المراجع العربية

— أحمد عزت عبد الكريم — تاريخ التعليم فى عصر محمد على — القاهرة — مكتبة النهضة — سنة ١٩٣٨ (ج ١) — تاريخ التعليم من عصر عباس حتى عصر توفيق : — عصر عباس وسعيد (ج ٢) — عصر إسماعيل وتوفيق (ج ٣) — القاهرة — وزارة التربية والتعليم — سنة ١٩٤٦ .

— الأنبا ايسيذورس — الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة — جزءان

— ايريس حبيب المصرى — قصة الكنيسة القبطية (خمسة أجزاء) .

— أحمد أمين — حياتى — القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر — سنة ١٩٥٠ .

— أحمد شفيق — حوليات تاريخ مصر (عشرة أجزاء) — القاهرة — مطبعة الحوليات .

— جرجس سلامة — أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٩٣٦ — القاهرة — مكتبة الأنجلو — سنة ١٩٦٦.

— جرجس فيلوثيئوس عوض — ذكرى مصلح عظيم .

— جمعية التوفيق القبطية بالفجالة — الكتاب الماسى — القاهرة — سنة ١٩٦٧ .

— جمعية المعلمين — الكتاب الذهبى لمدرسة المعلمين العليا — من ١٨٨٥ إلى ١٩٣٥ .

— حبيب جرجس — الإكليريكية بين الماضى والحاضر — القاهرة — سنة ١٩٣٨ .

— حسين الفقى — التاريخ الثقافى للتعليم بالجمهورية العربية المتحدة فى القرنين ١٩ ، ٢٠ — القاهرة — دار النهضة العربية — سنة ١٩٦٦ .

— زاهر رياض — :

+ الذكرى السنوية الأولى لأبى الإصلاح البابا كيرلس الرابع — القاهرة — يناير سنة ١٩٦١ .

+ مصر دولة افريقية سنة ١٩٧٩ . دار النهضة العربية — القاهرة .

+ المسيحيون والدولة المصرية — دار الثقافة سنة ١٩٧٩ .

— زكى صالح — محمود مرسى — البعثات العلمية فى القرن التاسع عشر — القاهرة — مطبعة وزارة التربية والتعليم .

— زينب محمد فريد — تطور تعليم البنت فى مصر — (رسالة دكتوراه غير مطبوعة) — كلية التربية — جامعة عين شمس سنة ١٩٦٦ .

— سليمان نسيم : تقرير عن المدارس القبطية فى جزءين — مرفوع للمجلس الملى العام فى دورته من سنة ١٩٧٣ إلى سنة ١٩٧٨ — ج ١ صدر فى نوفمبر سنة ١٩٧٣ — ج ٢ صدر فى إبريل سنة ١٩٧٤ .

— سامى عزيز — الصحافة المصرية وموقفها من الإحتلال البريطانى — القاهرة — وزارة الثقافة — سنة ١٩٦٨ .

— سميرة بحر — الأقباط والحياة السياسية فى مصر — القاهرة — دار الثقافة .

— عبد الرحمن الرافعى — تاريخ الحركة القومية فى مصر :

— عصر إسماعيل (ج ١ ، ج ٢) — القاهرة — مكتبة النهضة المصرية — سنة ١٩٣٢ .

— ثورة ١٩١٩ — القاهرة — مكتبة النهضة المصرية — سنة ١٩٥٥ (الطبعة الثانية) — فى أعقاب الثورة (ثلاثة أجزاء) .

— محاضر مجلس شورى النواب — مخطوط رقم ٦/١ — مكتبة مجلس الأمة — محرر ٢٣ — جلسة ١٩ رجب سنة ١٢٨٣ هـ — وما بعدها .

— محاضر جلسات مجلس الوزراء — محفظة رقم ٢ — مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر عن مخطوطات قصر القبة (لسنة ١٩٢٢) .

— مذكرات قليني فهمى — القاهرة — مطبعة المحلة الجديدة — سنة ١٩٤٣ .

— محمد شفيق غربال — تاريخ المفاوضات المصرية — البريطانية — القاهرة — مكتبة النهضة المصرية — سنة ١٩٥٢ .

— محمد صفوت — تاريخ مصر المعاصرة والجمهورية العربية المتحدة — القاهرة — مكتبة النهضة العربية — سنة ١٩٥٦ .

ثانيا : المراجع الأفرنجية

— Heyworthdunne, J. An Introduction to the History of Education in Modern Egypt, London, 1941.

— Holt, R. M. Political—Social change in modern Egypt, London—Oxford Univ. Press, 1968.

— Reverand Makary El Souriany, Ancient and Contemporary Christian Education in the Coptic Church of Egypt, Princeton, New Jersey, 1955, (unprinted). 1847.

— Tignor, R.L., modernization of British Colonial Rule in Egypt 1882 — 1914 Princeton, N.Y., 1966.

مطبعة نهضة مصر

الفجالة — القاهرة

هذا الكتاب

« هذا الكتاب على بساطة أسلوبه يسد فراغاً فى المكتبة المصرية والعربية بعامة . والمكتبة القبطية بخاصة . إنه يعالج موضوعاً تربوياً إجتماعياً حضارياً . لكنه أيضا دراسة تاريخية منهجية . تغطى قطاعاً مهماً فى تاريخ مصر الحضارى والثقافى والعلمى والتربوى . مع أبراز دور الأقباط الواضح فى حركة التعليم والتربيةوخدمة الأجيال الصاعدة والناشئة روحياً ووطنياً وعلمياً . وأخلاقياً . وإجتماعياً ... وهى أعظم تسلح عقلانى وسلوكى لمحاربة الأمية وأسمى علاج وقائى ضد ثالوث الدمار الإجتماعى : الجهل والفقر والمرض ..... »

الأنبا غريغوريوس